

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي  
معهد العلوم الإسلامية  
قسم أصول الدين

جهود أبي حامد الغزالي في تصحيح  
الممارسة الصوفية

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر  
في العلوم الإسلامية تخصص: عقيدة إسلامية

تحت إشراف:  
د. بوساحة البشير

الطالبان:  
- زينب بن علي  
- هناء مسعودي

المؤسسة الأصلية	الرتبة	الصفة	الأستاذ
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	أستاذ محاضراً	مشرفاً ومقرراً	د. بوساحة البشير
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	أستاذ محاضراً	رئيس اللجنة	عامر باي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	أستاذ محاضراً	عضواً مناقشاً	جمال أشرف

السنة الجامعية: 1440 - 1441 هـ / 2019 - 2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء.

إلى من كان رمز الأبوة الحقّة أبي حفظه الله ورعاه.

إلى من جُعِلَتْ الجنة تحت قَدَمَيْهَا أمي حفظها الله ورعاها.

إلى من أسرجوا النور في ظلمة الليل وأختي وإخوتي رعاهم الله.

إلى أستاذي: بوساحة البشير، الذي أشرف في مذكرتي.

إلى رفيقتي "هناء" التي رافقتني في مشواري الدراسي طيلة ثمان سنوات.

إلى كل أساتذتي الأفاضل وزملاء الدراسة.

أهدي لهم ثمرة هذا العمل المتواضع.

بن علي زينب.

## إهداء

أتقدم بإهداء هذا العمل المتواضع إلى:

والدي العزيزين اللذان منحاني كل ما عندهما من أجل إيصالني إلى هذه الرتبة العلمية أطال الله في عمرهما.

إلى كل إخوتي كل واحد باسمه، كما لا أنسى أبنائهم وأزوجهم.

إلى الأستاذ: بشير بوساحة الذي أشرف على عملي هذا، وزودني بالنصائح والإرشادات فجزاه الله عني خيراً. وإلى كل أستاذ لقنني علماً.

إلى كل فرد من أفراد عائلتي من قريب أو بعيد.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، وإلى كل من عرفته في مشواري الدراسي.

إلى كل طلبة الشريعة في جامعة الوادي وخاصة طلبة ماستر عقيدة دفعة 2020/2019.

إلى من يحبني ويتمنى لي النجاح....

مسعودي هناء.

# شكر وعرافان

الشكر لله عز وجل أولاً الذي أثار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا في إنجاز هذا العمل.

فلك الحمد يا ربي حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ومن باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فكل الشكر والتقدير إلى والدينا العزيزين اللذان شجعانا على طلب العلم.

كما نشكر أستاذنا بشير بوساحة الذي كان معنا طيلة إنجازنا لهذا البحث، ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه التي كانت عوناً وسنداً لنا.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تكرموا بمناقشتنا.

وكل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد.

بن علي وينب.

مسعودي هناء.

مُعْتَمِدَةٌ

## مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده حجة وبرهاناً ونوراً وهدى، المعجزة الخالدة،  
والصلاة والسلام على الرسول المصطفى.

وبعد :

يعتبر التصوف موضوعاً مهماً من مواضيع الفكر الإسلامي، كما أنه يدخل في بناء الشخصية المسلمة المميّزة لهذا الفكر، وقد ظهر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وكان عبارة على زهد وخلوة، ولم يصبح ممارسة وعلماً قائماً بذاته إلا في القرن الثالث هجري، حيث بدأ التّفْعِيد له وأصبح له مصطلحات ومصادر وأعلام وشيوخ، وانقسم فيه الناس إلى قسمين: مؤيدين ومعارضين، فالمؤيدون: هم الذين يقولون بأن الصوفية وليدة بيئة إسلامية أي أن التصوف أصيل في الإسلام؛ أما المعارضون: فيقولون أن الإسلام لم يعرف التصوف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه والتابعين، فهو مُقتبس ومأخوذ من مصادر أجنبية. والاهتمام بالتصوف ليس حديث الساعة بل تناوله المؤرخون وعلماء العرب والمسلمون منذ ظهوره أمثال: البصري والجنيد والقشيري وممن اهتم بهذا الموضوع أيضاً أبي حامد الغزالي الذي خاض فيه كثيراً فألف فيه العديد من المؤلفات، التي كان جُلّ مضامينها تتناول تجربته الصوفية وتصحيحاته في هذا الباب، ومن أهم هذه المؤلفات "كتاب إحياء علوم الدين" الذي أمّم فيه الغزالي تجربته الروحية التي مر بها.

### الإشكالية :

تعرض أبو حامد الغزالي للتصوف واهتم به ضمن مشروعه تجديدي، فتطرّق لمباحثه في كتاباته وعلى رأسها الإحياء، الذي حصّل على مكانة عظيمة عند الكثير من الناس. فقد قال عنه الإمام النووي "كادَ الإحياء أن يكون قرآناً"، وقد كان في ذلك المشروع إحياء لجميع العلوم، ويعد الإحياء الذي تُرجم إلى جميع اللغات الحيّة أوسع كتب الأخلاق الإسلامية انتشاراً حتى اليوم فقد تناول فيه موضوع التصوف ضمنياً وألفه الغزالي ليستعيد الإخلاص إلى القلوب، وتناول أيضاً موضوع التصوف في جُلّ كتبه، وكان له طرح متميز أبرز

فيه تجربته الصوفية التي وصل إليها في نهاية مساره، حيث أبرز في مؤلفاته تصحيحات لهذه للأخطاء في كتابات المتصوفة وممارساتهم .

ويمكن حصر الإشكالية في التساؤل الآتي:

+ ما هي معالم التجربة الصوفية عند الغزالي، التي من خلالها صحح أخطاء المتصوفة؟

### أهمية الموضوع :

إن موضوع التصوف من المواضيع المهمة حيث يستمد هذا الموضوع أهميته من أمرين :

+ الأول : التصوف ومواضيعه التي أثارت جدلاً كبيراً .

+ الثاني : المكانة الهامة التي حَضِيَ بها أبي حامد الغزالي كون هذه الشخصية من الشخصيات المهمة، حيث ذكر "السيوطي" في أحد كتبه أنه المجدد الخامس ، ولأهمية هذه الشخصية كان لموضوعنا أهمية كبيرة ، منها :

+ أهمية دراسة الفكر الصوفي وأعلامه .

+ ضرورة معرفة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي وكيفية تصحيحه للتصوف .

### أهداف الموضوع :

وتكمن أهداف هذا البحث في :

+ بيان مفهوم التصوف ودوافع نشأته وتصحيح الغزالي له .

+ بيان معالم التصوف عند الغزالي وبيان الفرق المتصوفة التي كانت في زمن الغزالي وموقفه منها .

+ فتح آفاق للبحث في الجوانب السلوكية والعرفانية التي عمل الغزالي على تصحيحها.

+ الوقوف على آراء الغزالي في موضوع الممارسات الصوفية.

+ بيان الأخطاء التي سجلها الغزالي عن المتصوفة وتصحيحاته لها .

### الدراسات السابقة :

لا شك أن هناك من الدراسات والبحوث القيمة التي تناولت موضوع جهود أبي حامد الغزالي في تصحيح الممارسة الصوفية. إلا أن هذا لا يلغي الحاجة إلى المزيد من الدراسات التي قد تُوفِّق إلى الوصول إلى إضافات جديدة قد تُلقِي مزيداً من الضوء على جهود الغزالي في تصحيح الممارسات الصوفية الخاطئة المنحرفة.

ومن هذه الدراسات التي تطرقت لتصحيح الغزالي للممارسة الصوفية:

1\_ مصادر المعرفة وحقيقة الكشف عند الإمام الغزالي، بحث أعده محمد جواد مغنية للمشاركة في المؤتمر الذي عقد بدمشق احتفالاً بالذكرى المئوية التاسعة لميلاد الغزالي وذلك من 27 إلى 31 مارس سنة 1961م. وبين يدي نسخة من البحث المذكور.

2\_ التجربة الروحية بين القديس أوغسطين والإمام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، أطروحة تقدم بها البشير بوساحة لنيل شهادة دكتوراه، 2017م، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

3\_ المحبة في الفكر الصوفي حقيقتها وأبعادها التربوية أبو حامد الغزالي أنموذجاً، وهي دراسة مكتملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص العقيدة الإسلامية أعدتها الطالبة طبال هدير، 2018م، معهد العلوم الإسلامية قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.

5\_ مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي، وهو عبارة عن دراسة قدمها الطالب مهدي محمد لنيل شهادة ماستر ل.م.د، 2015م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة د.الطاهر مولاي، سعيدة.

هذا إلى جانب عدد من الكتب التي تحدثت عن تصحيحات الغزالي للتصوف نذكر

منها:

1\_ كتاب تحت عنوان: المستخلص في تزكية الأنفس وهو عبارة عن كتاب قدّم لنا نظرية متكاملة في تزكية النفوس يستمد الكثير من مادته من كتاب إحياء علوم الدين بعد تنقيح وتهذيب وإعادة ترتيب لمؤلفه سعيد حوى، نشر من طرف دار السلام، الطبعة رقم 11 م.2005.

2\_ كتاب تحت عنوان: اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الحسيني الزبيدي، نشرتها مؤسسة التاريخ العربي ببيروت، الجزء الأول، 1994 م.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر التي ساعدتنا كثيراً في إنجاز هذا البحث أهمها:

\_ "إحياء علوم الدين" - "روضة الطالبين وعمدة السالكين" - "مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب" - "مجموعة رسائل الإمام الغزالي".

### أسباب اختيار الموضوع :

#### أسباب موضوعية :

+ معرفة أعلام ومصادر التصوف.

+ معرفة الصوفية الصحيحة عند أبي حامد الغزالي .

+ محاولة الخروج بثمرة التصوف الصحيح عند الغزالي رحمه الله ألا وهي ثمرة التقوى والإيمان.

#### أسباب ذاتية:

+ الرغبة في معرفة التصوف وقضاياها.

+ رغبتنا في معرفة تصحيحات الإمام الغزالي للتصوف وتجربته الصوفية.

### منهج هذه الدراسة:

المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة هو: وصفي استقرائي.



فقد استعملنا المنهج الوصفي في المبحث الأول: ترجمة حياة الإمام الغزالي، وفي المبحث الثاني: لتحديد ماهية التصوف. أما الاستقرائي في المبحث الثالث: والذي تمثل في تصحيحات أبي حامد الغزالي للتصوف.

### الصعوبات:

فقد واجهتنا صعوبة في حصر أفكار وآراء الغزالي المتشعبة والتي يدور مضمونها حول موضوع التصوف الصحيح، وكذا صعوبة اختيار السلوكات التي سنذكر تصحيحها، لأن الغزالي صحح الكثير من السلوكات، حيث أن كتابه الإحياء كله تصحيح الممارسات الصوفية.

### خطة الموضوع:

اتبعنا في هذه الدراسة خطة اشتملت على مقدمة بجميع عناصرها، وثلاث مباحث فالمبحثين الأول والثاني تضمن كلٌّ منها ثلاثة مطالب، وتضمّن المبحث الثالث مطلبين فالمبحث الأول كان بعنوان ترجمة الإمام الغزالي واندرج تحته ثلاثة مطالب فالأول عنوانه بالتعريف بالإمام الغزالي، والثاني حياته والثالث آثاره أي مؤلفاته ووفاته.

وأما المبحث الثاني والمعنون بماهية التصوف حيث تضمن ثلاثة مطالب أيضاً، المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي، وفي الثاني المراحل التي مرّ بها التصوف وأهم أعلامه وأما المطلب الثالث ففيه مصادر التصوف، وبالنسبة للمبحث الثالث والذي كان عنوانه نقد المتصوفة عند الغزالي وتصحيح الممارسة الصوفية، وفيه مطلبين، فالأول نقد أبي حامد الغزالي للتصوف، و في المطلب الثاني تصويبات أبي حامد الغزالي للتصوف.

وفي الأخير ختمنا بهذا بخاتمة أجبنا فيها عن التساؤل المطروح مسبقاً في المقدمة، وكما أننا عرضنا أهم النتائج التي توصلنا إليها.



## المبحث الأول:

ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي.

ويتضمن ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي ( اسمه، مولده ونشأته).

**المطلب الثاني:** حياته ( تعليمه، رحلاته، شيوخه، وتلاميذه).

**المطلب الثالث:** آثاره (مؤلفاته، ووفاته).

## المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي.

إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بإنسان خيراً يُفَقِّهه في دينه، وجعل فيه الخير والنفع على أُمَّته، وحديثنا عن أحد عظماء هذه الأمة الإسلامية الذي استحق أن يلقب بحجة الإسلام قد قدّم العديد من الآثار لِدِينِهِ، ونفع بها أُمَّته، إنه الإمام العالم أبو حامد الغزالي.

فهو واحد من أعظم الفقهاء الإسلاميين، والعلماء والمفكرين الصوفيين. تعلّم الغزالي مختلف فروع العلوم الإسلامية منها الفقه وأصول الدين وغيرها في طوس مسقط رأسه ومدينة جرجان ونيسابور، وبعد رحلة من تَعَلُّمِهِ لشتى العلوم المختلفة والمتنوعة حتى أصبح من أعظم الشخصيات في الفكر الإسلامي وطار اسمه عالياً، كما أنه أثر تأثيراً عميقاً في حياة المسلمين الفكرية والسلوكية، وسننظر في سيرته للتعريف به وما كان لحياته الخاصة من تَعَلِيمٍ وَتَعَلُّمٍ، ومعرفة ما أَلْفَهُ أبو حامد من مؤلفات وغيرها مما مرّ به في حياته سنتناوله في هذا المبحث الذي ترجمنا فيه حياة الإمام أبو حامد الغزالي ترجمة مفصلةً.

## المطلب الأول: التعريف بأبي حامد الغزالي (اسمه، مولده ونشأته).

من الضروري في هذه الدراسة التعريف بشخصية الإمام الغزالي بداية من التعريف باسمه الكامل ومولده ونشأته.

## الفرع الأول: اسمه.

اتفق الباحثون في اسمه فلا خلاف في ذلك، فهو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام والمسلمين، وبعد تأكيد عبد الحلیم محمود على هذا الإسم وصفه قائلاً: "إمام أئمة الدين، لم تَرَ العيون مثله لساناً وبيانياً، ومنطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً"<sup>1</sup>.

ويذهب أبو العباس بن خلكان في الوفيات إلى أنه أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي؛ لم يكن للطائفة

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحلیم محمود، ط5، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص 267.

الشافعية في آخر عصره مثله<sup>1</sup>.

وورد اسمه في الإحياء: وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، نسبتبه إلى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة من قرى طوس (لمن قال بالتخفيف)<sup>2</sup>.

وقيل أنه قال في بعض مصنفاته: "ونسبني قوم إلى الغزّال وإنما أنا الغزالي نسبةً إلى قرية يقال لها غزّالة بتخفيف الزاي"<sup>3</sup>.

### الفرع الثاني: مولده ونشأته.

ولد الإمام أبو حامد الغزالي سنة خمسين وأربعمائة هجرية (450هـ) الموافق لثمانية وخمسون وألف ميلادية (1058م)، بطوس، وأما والده فقد كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده حيث كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان يختلف في أوقات فراغه إلى مجالسة العلماء ويطوف عليهم ويتوفر على خدمتهم، ويحجّ في الإحسان إليهم والتفقه بما يمكنه عليهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله أن يرزقه ابناً يجعله فقيهاً وواعظاً، فرزقه الله بولدين هما أبو حامد وأخوه أحمد، غير أنّ الأقدار لم تمهله حتى يرى رجاءه قد تحقق ودعوته قد أستجيب<sup>4</sup>، فلما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: "إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديّ هذين فعلمهما ولا عليك أن تنقد في ذلك جميع ما أخلفه لهما"<sup>5</sup>، فلما مات أقبل الصوّفيّ على تعليمهما، إلى أن فني ذلك النّزّر اليسير الذي كان خلّفه لهما أبوهما، وتعذّر

<sup>1</sup> أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت، دار الصادر، ج4، ص 216.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، 2005م، ص 5.

<sup>3</sup> صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي، الوافي بالوفيات، ط2، دار فرانز شتايز بقسباون، 1962م، ص 277.

<sup>4</sup> علي محمد محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2006م، ص 357.

<sup>5</sup> عبد الرحمان دمشقية، أبو حامد الغزالي و التصوف، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1986 م، ص 17.

على الصوفي القيام بقرئتهما، فقال لهما: "إِغْلَمَا أَنِي قَدْ أَنْفَقْتُ عَلَيْكُمَا مَا كَانَ لَكُمَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْفَقْرِ وَالتَّجْرِيدِ بَحِيثٌ لَا مَالَ لِي فَأَوَاسِيكُمَا بِهِ، وَأَصْلَحُ مَا أَرَى لَكُمَا أَنْ تَلْجَأَ إِلَى مَدْرَسَةٍ؛ فَإِنَّكُمَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، فَيَحْصِلُ لَكُمَا قُوَّةٌ يُعِينُكُمَا عَلَى وَقْتِكُمَا. ففعلوا ذلك"<sup>1</sup> وقد تولَّى الرجل الصوفي بنفسه تحفيظهما القرآن الكريم، وتولى تعليمهما ما يتناسب مع سنيهما من مبادئ الفقه التعبدية في الطهارة والصلاة بالقدر المأمور به في هذه السن<sup>2</sup>.

وقد نشأ حجة الإسلام الغزالي في عصر مضطرب، اشتدت فيه المنازعات السياسية والفكرية، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) في العصر العباسي الثالث \_ الذي يعتبر عصر انحلال وضعف في المجال السياسي والعسكري وانحطاط وفوضى في الأخلاق، وجمود وخمول في الفكر \_ وذلك للأسباب التالية: نشاط الحركات الإسماعيلية والدعوات الفاطمية، قوة شوكة العناصر التركية، حيث استولت على بغداد وبست سلطانها على العراق قبل مولد الغزالي بثلاث سنوات، ومن الأسباب كذلك تأسيس الدولة السلجوقية على يد طغرل بك حيث أصبحت السلاجقة أصحاب السلطان في عهد الغزالي، وغيرها من الأسباب<sup>3</sup>.

وبطوس تفقه عن أحمد الرذكاني في صباه، ولكن لم يُحَصِّلْ من الفقه منه إلا القليل، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس، وجدَّ واجتهد حتى تخرج عن مدة قريبة، وصار أنظرَ أهل زمانه وواحد أقرانه، وكان الطلبة يستفيدون منه ويُدرِّس لهم ويجتهد في نفسه وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف<sup>4</sup>، وكان الإمام \_ مع علو درجته، وسمو عبارته، وسرعة جريه في النطق والكلام \_ لا يصفى نظره إلى الغزالي سرّاً لإبائه

<sup>1</sup> أبو الحسن علي الحسيني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ط3، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، ص 223\_224.

<sup>2</sup> محمد الصادق عرجون، أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 10.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: إنصاف رمضان، ط1، بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 7\_8.

<sup>4</sup> أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (د.ط.)، القاهرة، مطبعة التوفيق، 1347 هـ، ص 291\_292.

عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع، ولا يطيب له تصديه للتصانيف، وأن كان متخرجاً به منتسباً إليه، وهذا لا يخفى من طبع البشر، ولكنه يظهر التبجح به، والاعتداد بمكانه مظهراً خلاف ما يضمره، ثم بقي كذلك إلى انقضاء أيام الإمام<sup>1</sup>.

ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبو نصر الإسماعيلي، وعلق عنه التعليقة في الفقه ثم رجع إلى طوس، قدم نيسابور في رفقة جماعة من الطلبة من طوس، ولازم إمام الحرمين، ومن زملائه في الدراسة عليه: الكيا الهراسي (ت: 504هـ) وأبو المظفر الخوافي (ت: 500هـ)، توفي إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني في (478هـ / 1085م)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 278.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي، مؤلفات الغزالي، ط2، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977 م، ص 21\_22.

المطلب الثاني: حياته (تعلمه، رحلاته، شيوخه وتلاميذه).

بعد أن عرفنا اسم ومولد ونشأة الإمام الغزالي، سنتعرف أيضاً على حياته بما فيها تعلمه ورحلاته والشيوخ الذين تفقه ودرس عليهم، وكذلك تلاميذه الذين أخذوا العلم على يده.

الفرع الأول: تعلمه ورحلاته:

بعد أن أرسله صديق أبيه إلى مدرسة طوس، وكانت المدرسة تقدم العلوم الدينية إلى جانب المعارف الابتدائية، وبعد أن أمضى مرحلة من الزمن في مدرسة طوس وأنهى علومها كان عليه أن يشد الرحال إلى مدرسة جرجان، فأمضى فيها مرحلة من الزمن وعاد إلى طوس، وفي طريق عودته هاجمه قطاع الطرق فَجَرَّدُوهُ من متاعه البسيط، ولم يتركوا له حتى المَخَالَة التي وضع فيها أوراقه وكتبه<sup>1</sup> واسترجعها منهم بعد رجاءٍ عظيم ومخاطرة كادت تؤدي بحياته. ولعلَّ هذه الحادثة كانت ذات أثر بيِّن في حياة الغزالي الفكرية، فقد عَوَّدَتْهُ أن يستظهر كل ما يقع تحت يده حتى لا تصبح له حاجة إليها إذا ما تناولته أيدي الضعفاء<sup>2</sup>.

كان على الغزالي أن يواصل تحصيله العلمي فَانَّجَهَ إلى نيسابور التي كانت آنذاك أحد المراكز الجامعية بالخلافة العباسية، وهناك تعلم التفسير والفقه والأصول وعلم الكلام والمنطق على يد أساتذة كبار من بينهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، الذي علمه نقد الآراء ودحض النظريات الكلامية<sup>3</sup>، وكان يحفظ على ظهر قلب خوفاً من نسيانها وكان أصحابه في المدرسة يرجعون إليه بدل الرجوع إلى المراجع والمصادر فيقول لهم النصر المطلوب، حتى وصفه أستاذه الجويني بأنه بحر مغدق.

تغيرت حياة الغزالي بموت إمام الحرمين سنة (487هـ) فخرج من نيسابور قاصداً معسكر نظام الملك؛ حيث سعى جهده ليظهر على خصومه ولكي ينال أَوْسَمَةَ العلم، وكان ذلك المعسكر محط رحال السلاطين السلجوقيين، كما أنه كان محباً للعلوم وأسس مدارس في مدن

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل وآخرون، نوايح العرب أبو حامد الغزالي إمام العقل وحجة الإسلام، (د.ط)، بيروت، دار العودة، 1986م، ص 29\_28.

<sup>2</sup> سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، 1965م، ص 20.

<sup>3</sup> محيي الدين زعرور، اللامعقول وفلسفة الغزالي، (د.ط)، تونس، دار العربية للكتاب، 1983م، ص 72.

مختلفة وفي سنة (484هـ) طار اسم الغزالي في الآفاق واشتهر في الأقطار فَوَلَّاهُ نظام الملك التدريس بمدرسه ببغداد وكان من كبار مدرسيها، وكان غرضها تعليم شرائع الشافعية؛ وقد بدأ الغزالي بالعمل فيها فأقام على الوعظ والتدريس والتعليم والفتيا والتصنيف؛ حتى ضربت به الأمثال وشُدَّت إليه الرحال<sup>1</sup>، وسرعان ما اشتهر الغزالي وكثر أنصاره وخصومه. وفي سنة (485هـ) فتك الباطنية بنظام الملك فترك ذلك في نفس الغزالي أثراً عميقاً من الحزن على نظام الملك ومن نقمة على الباطنية؛ ولم يتمتع الغزالي بمقامه وجاهه في بغداد إلا أربع سنوات أو تزيد قليلاً، لأنه جاء إلى بغداد يحمل في أعصابه بوادر مرض الكَنْظ<sup>2</sup>.

فعرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فخرج إلى الحج في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين (488هـ)، استتاب أخاه في التدريس ودخل دمشق سنة تسع وثمانين (489هـ) فلبث فيها أيام يسيرة على قدم الفقر، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع بها، وصادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول قال الغزالي فحشي الغزالي على نفسه العجب ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد فدخل إلى مصر وأقام مدة في الإسكندرية، واستمر يجول في البلدان يتردد على المشاهد ويطوف على الترب والمساجد ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار، ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتحدث بكتاب الإحياء<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بتصرف: زويمر، ترجمة حياة حجة الإسلام الغزالي، ط2، مطبعة النيل المسيحية، 1926م، ص 69\_64.

<sup>2</sup> عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1972م، ص 486. الكَنْظ: ويسمى أيضاً بالغنظ وهو هبوط في القوى الجسمانية والعقلية ينتج اضطراباً نفسياً يتسم صاحبه بالقلق والسويداء، والمريض بالكَنْظ يقل أكله ونومه ويستولي عليه خشوع من التقوى والورع.

<sup>3</sup> محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، 1994 م، ص 7\_8.

الفرع الثاني: شيوخه وتلاميذه:

أ\_ شيوخه:

تَتَلَمَذَ الإمام الغزالي على الكثير من كبار العلماء والفقهاء، الذين كان لهم دور في بناء شخصية الغزالي العلمية والثقافية، وهم كالتالي:

1\_ أحمد بن محمد الطُّوسِيُّ أبو حامد الرَّازِكَانِيُّ :

(رَادَكَانُ) وهي قرية من قرى طوس، وأحمد الرَّادَاكَانِيُّ أحد شيوخ الإمام الغزالي في الفقه حيث تَفَقَّهَ عليه قبل رحلته إلى إمام الحرمين.

2\_ إسماعيل بن مَسْعَدَةَ بن إسماعيل ابن الإمام أبي بكر أبو القاسم الإسماعيلي الجرجاني:

من أهل (جرجان)، من بيت العلم، والفضل، والرياسة، كان صَدْرًا، رئيسًا، وعالمًا كبيرًا يَعِظُ، وَيُملِي على فهم ودراية وديانة، جيد الفقه، مليح الوعظ، والنَّظْم، والنثر.

ولد سنة سبع وأربعمائة(407هـ) وقيل: سنة ست وأربعمائة(406هـ) بجرجان، من شيوخه أباه، وعمه المفضل، وأحمد بن إسماعيل الرَّبَاطِيَّ وغيرهم .

روى عنه: زاهر ووجيه ابْنَا الشَّحَّامِيَّ، وإسماعيل السَّمَرَقَنْدِيَّ وآخرون<sup>1</sup>

3- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد العلامة إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي بن الشيخ أبي محمد الجُوَيْنِيَّ:

رئيس الشافعية بنيسابور، ولد في محرم سنة تسع عشرة وأربعمائة(419هـ)، وتفقه عن والده، وأتى على جميع مصنّفاته، وبعد وفاة أبيه أصبح يُدَرِّسُ مكانه، وحَصَلَ أصول الدين وأصول الفقه على يد أبي القاسم الإسفراييني الإسكافي .

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، الوجيز في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود، ط1، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ج1، 1997م، ص23\_21 .

قال ابن السمعاني : كان إمام الأئمة على الإطلاق، الجُمع على إمامته شرقاً وغرباً. لم ترَ العيون مثله .

توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (478هـ)، ودفن بداره، ثم نقل بعد سنين فدفن إلى جانب والده.

4\_الفضل بن محمد بن علي الشيخ الزاهد أبو علي الفارمَديُّ: من أهل (طوس) و(فارمَندُ).

سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن باكوبه الشيرازيِّ، وأبي منصور التميمي، وأبي حامد الغزالي الكبير، وأبو عبد الرحمان النيليِّ، وغيرهم .

وروى عنه عبد الغافر الفارسي، وأبو الخير جامع الشفاء، وآخرون.

ولد الفضل بن محمد الفارمَدي سنة سبع وأربعمائة (407هـ). وتفقه على الإمام أبي حامد الكبير، صاحب التصانيف.

ذكره عبد الغافر فقال: "هو شيخ في عصره، المنفرد بطريقته في التذكير، التي لم يُسبق إليها، في عبارته وتهذيبه، وحسن أدبه، ومليح استعارته، ودقيق إشارته، ورقّة ألفاظه، ووقع كلامه في القلوب".

توفي بطوس في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة (477هـ)<sup>1</sup>.

ومن مشايخه أيضاً:

— يوسف السجاج .

— أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي.

— الحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي.

<sup>1</sup> الوجيز في فقه الإمام الشافعي، المصدر السابق، ص 22\_23.

\_ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري ( خوار طبران).

\_ محمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني.

\_ المحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني .

\_ نصر بن إبراهيم المقدسي<sup>1</sup>.

ب\_ تلاميذه:

لقد أثر الإمام الغزالي في الكثير من الناس، فتتلمذ عليه الكثير منهم:

1\_ أبو النصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمان الخَمَقْدِيُّ: نسبة إلى بلد يُدعى (خَمَسَ قُدَى)، ولد سنة ست وستين وأربعمائة(466هـ)، توفي سنة أربع وأربعين وخمسائة(544هـ)، وتفقه بطوس على الإمام الغزالي .

2\_ الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان الأَصُولِي: وكان حنبلياً ثم انتقل وتفقه على أبي حامد الغزالي، وكان يَدْرُسُ في المدرسة النظامية في أنواع العلوم، ودرس إحياء علوم الدين للطلاب.

ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة(476هـ)، ووفاته سنة ثمانى عشرة وخمسائة(518هـ).

3\_ أبو منصور محمد بن إسماعيل بن الحسين بن القاسم العَطَّارِيُّ الطوسي : الواعظ الملقب بـجندة ، تفقه على يد أبي حامد الغزالي في طوس، توفي سنة ست وثمانين وأربعمائة(486هـ)<sup>2</sup>.

4\_ الشديد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد التَّوْقَانِيُّ: تفقه على أبي حامد، وقتل في مشهد علي بن موسى الرضى في سنة أربع وخمسين وخمسائة(554هـ) في واقعة الثغر.

<sup>1</sup> إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، ط1، دار الوفاء، 2000م، ص51.

5\_ أبو حامد محمد بن عبد الملك بن محمد الجَوْزَقَانِيّ الإسفرايني: تفقه على الإمام الغزالي ببغداد، وسمع ابن أبي عبد الله الحميدي الحافظ، لَقِبَهُ ابن السمعاني في (إسفرايين) موطنه.

6\_ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله العراقي البغدادي: تفقه على الغزالي والكنيا والشاشي، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة (540هـ).

7\_ الإمام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري: ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة (476هـ)، وهو من أشهر تلاميذ الغزالي، تفقه عليه وشرح كتابه (البيسط) استشهد في رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (548هـ) في واقعة الغُرِّ<sup>1</sup>.

الفرع الثالث: مراحل التي مرّ بها الغزالي (من الفقه إلى الفلسفة إلى التصوف).

كان للجويني تأثير عظيم في تفكير الغزالي؛ فالغزالي لم يعد يدرس ويستظهر ما يدرسه مجرد تخزين المعلومات وحسب، إنما أصبح ناقداً لما يدرس فأخذ يكتب ويؤلف بروح الناقد المفكر الذي لا يتقبل الآراء إلا بعد إخضاعها لمنطق العقل، متبعاً في ذلك حُطى أستاذه التي بدت له قصيرة، فأمعن في إطلاتها، ثم زاد عليها فيما هو ممعن في توسيع تلك الخطى ليرى نفسه وقد أذنت حياة الجويني بالإنهاء في بحر من الشك واسع الأرجاء عميق<sup>2</sup>.

وقد بيّن الغزالي أن الشكوك التي بلغت قمته، ودام الأمر كذلك مدة شهرين، أصبح فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. فلم يتيسر علاجه من هذا الداء بنصب الأدلة، حتى شفاه الله من هذا المرض<sup>3</sup>. فقال في "المنقذ": ولما شفاني الله من هذا المرض بفضلته. وسعة جُوده، انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون الباطنية، الفلاسفة، والصوفية... فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه

<sup>1</sup> عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي، (د.ط)، الصفا للطباعة والترجمة والنشر، (د.ت)، ص 10\_11.

<sup>2</sup> إبراهيم الخال، الغزالي، مقال في مجلة الأقلام، ج 10، حزيران 1965، ص 64.

<sup>3</sup> بوساحة بشير، التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبو حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2017م، ص 454.

الفرق: مبتدئا بعلم الكلام. مُثَبِّتًا بطريق الفلسفة، ومُثَلِّثًا بتعليم الباطنية. ومُزَيِّجًا بطريق الصوفية.<sup>1</sup>

فابتدأ الغزالي بعلم الكلام. فحَصَّلَه وعَقَّلَه وطالع كتب المحققين منهم، وصنف فيه منها كتاب: "الإقتصاد في الاعتقاد"، فقد كانت نظرة الغزالي لعلم الكلام بإعتباره علماً يقوم على صحة النظر في الأدلة والبراهين العقلية التي تحقق قضاياها وتثبتها اثباتاً يحميها من زعزعة المناقضات والمعارضات والشبه. وهذا النظر هو ما يقصده الغزالي بقوله عن هذا العلم: "فصادفته وافياً بمقصوده".

وهو بهذا الاعتبار مؤدِّ بمن حَصَّلَه تحصيلاً كاملاً، ونظر فيه نظراً استدلالياً إلى أن تَنَحَّلَهُ عنه رابطة التقليد العقائدي بالنسبة للعقائد الحققة المأخوذة أولاً بالتقليد النقلي عن الكتاب والسنة من نصوصها القطعية ومن استنباط علماء الإسلام فيما لا اختلاف فيه.<sup>2</sup>

وقد صرح الغزالي في المنقذ من الضلال بأن مقصود هذا العلم "هو حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار"<sup>3</sup>.

فالغزالي لم يجد ضالته في علم الكلام حيث قال "فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي".

وشرع في دراسة الفلسفة من غير استعانة بأستاذ، وهو في ذروة مشاغله. حيث كان يُدْرَسُ في النظامية ببغداد لثلاثمائة طالب، وأن هذه الدراسة كانت في أوقات فراغه من التصنيف في تلك الأيام، وأنها كانت مجرد مطالعة في الأوقات المختلصة من بين ساعات التدريس والتحضير والتصنيف؛ ومع ذلك فقد توصل إلى منتهى علومهم في أقل من سنتين.

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 131.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، المرجع السابق، ص 54.

<sup>3</sup> المنقذ من الضلال، المرجع السابق، ص 132\_134.

وقد صنّف الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام: الدهريون، الطبيعيون، الإلهيون. حيث يقول الغزالي في "المنقذ": "اعلم: أنهم \_ على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم \_ ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون."<sup>1</sup>

ومن مؤلفاته في الفلسفة: "مقاصد الفلاسفة" و"تحافت الفلاسفة"<sup>2</sup>.

والغزالي تعرّف على الصوفية منذ نعومة أظفاره، كما يعترف هو، فوالده كان من الصوفيين، وعند وفاة والده أوصى به لأحد الصوفيين فتعلم الغزالي في مدرسة من مدارسهم؛ والصوفية بالنسبة للغزالي كانت هي طوق النجاة له في مراحل الهيجان والاضطراب الروحي والزلازل النفسية؛ وأكثر ما كان الغزالي يردد لنفسه سواء في أيام عزلته في منارة المسجد الأموي بدمشق، أو في الزاوية التي أقامها في بلدة طوس ما يردد الصوفيون: "... ربي، إن كنت أعبدك خوفاً من جهنم فألقني في جهنم، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فأحرمني من جنتك، أما إذا كنت أعبدك لذاتك فلا تمنع عني جمالك الأسنى"<sup>3</sup>.

فالغزالي أقبل على طريقة الصوفية بعد الفراغ من العلوم السابقة (الفقه، الفلسفة، علم الكلام..)، فوجد أن طريقتهم تتم بعلم وعمل، وكان العلم أيسر عليه، فحصله من مطالعة كتب مشاهيرهم، كالملكي والمحاسبي والجينيدي، والشبلي وأبي يزيد البسطامي. وظهر له أنه لا يمكن الوصول إلى كنه مقاصدهم إلا بالعمل، أي بالذوق والمشاهدة وتبدل الصفات والأحوال. فالفرق كبير بين أن تكون سكراناً، وبين أن تعرف حد السكر كما قال الغزالي<sup>4</sup>.

فالصوفية لم تقدم له فقط تلك الواحة الروحية بل ساهمت بمثلتها في تكوين منهجه العقلي؛ ولقد كتب عن الصوفية، يقول: "... إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر نفسه، ص 140.

<sup>2</sup> صالح أحمد الشامي، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة، ط1، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م، ص 38\_39.

<sup>3</sup> نوايغ العرب أبو حامد الغزالي إمام العقل وحجة الإسلام، المرجع السابق، ص 95\_97.

<sup>4</sup> التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبو حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، المرجع السابق، ص 500.

لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً..<sup>1</sup>.

وخلاصة القول أن علم الكلام و التصوف حلّ رابطة التقليد عند الغزالي: كما جاء في كتاب "أبو حامد الغزالي المفكر الثائر" لمحمد صادق عرجون: إن علم الكلام هو الذي حلّ عن الغزالي رابطة التقليد العام في العقيدة في سن قريية عهد بسن الصبا باعتباره مرشداً ومعلماً، ومناضلاً لحماية عقيدة العامّة من شبه المبطلين وأضاليل الفرق، لأنه العلم الذي أحكمه وتضلع فيه على قيمة عبقرى المناظرين في عصره أستاذه إمام الحرمين، وكان إذ ذاك في سن يصدق عليها إنها قريية بعهد الصبا. كذلك أن التصوف هو الذي حلّ عنه رابطة التقليد الخاصة به التي كان يحسها من نفسه ويريد أن يقتلعها بيقين لا يبقى معه رُبّ ولا يقارنه إماكن الغلط و الوهم بحيث لو تحداه من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً في علومه.

وهذه مرتبة حصل عليها الغزالي \_ كما يقول في كتابه المنقذ من الضلال \_ بعد أن تَحَلَّخَتْ في نظره دعائم المحسوسات والعقليات في توصيلها له إلى ذلك اليقين الخاص الذي يطلبه في إدراكه للحقائق، وبعد أن اضطرت أعصابه وتوقف عن النظر مدة كان فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم المقال.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص177.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، المرجع السابق، ص57.

## المطلب الثالث: آثاره (مؤلفاته ووفاته).

يعد أبو حامد الغزالي من أعظم وأكبر مفكري الأمة الإسلامية، وقد أَلَّفَ العديد من المؤلفات في مجالات مختلفة منها الفقه والتصوف وعلم الكلام والفلسفة وغيرها من العلوم سنذكر أشهر مؤلفاته، ووفاته في هذا المطلب .

## الفرع الأول: مؤلفاته:

فمن أشهر مؤلفاته هي:

\_ إحياء علوم الدين: من أشهر مؤلفاته حيث تضمّن فكر الغزالي الأصيل، فهو كتاب يشع العلم والنور والإيمان والمعرفة، ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة، كما يدعو إلى تركية النفس وترقيتها حتى تصل إلى مقام الإحسان.

\_ المنحول في الأصول: أَلَّفَهُ في حياة أستاذه إمام الحرمين .

\_ البسيط في الفروع: وهو كالمختصر لـ (نهاية المطلب) لشيخه إمام الحرمين، وذكره الغزالي في (جواهر القرآن) .

\_ الوسيط: الوسيط ملخص من (البسيط) .

\_ الوجيز: أشار إليه الغزالي في (الإحياء) وفي (جواهر القرآن)، وقال عنه إنه أصغر تصانيفه في الفقه .

\_ القسطاس المستقيم: قال عنه الغزالي " وهو كتاب مستقل بنفسه، مقصوده بيان ميزان العلوم، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم لمن أحاط به"<sup>1</sup> .

وغيرها من تصانيفه المشهورة وهي: مقاصد الفلاسفة، تحافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، محك النظر، معارج القدس، المنقذ من الضلال، جواهر القرآن، المضمون به على

<sup>1</sup> مؤلفات الغزالي، المرجع السابق، ص 25\_26.

غير أهله، بداية الهداية، الوقف والابتداء في التفسير، المعارف العقلية، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، إجماع العوام عن علم الكلام، مكاشفة القلوب، منهاج العابدين، عقيدة أهل السنة، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، فضائح الباطنية، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، مشكاة الأنوار، ميزان العمل، معيار العلم، حجة الحق، تنبيه الغافلين، الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة... إلى غير ذلك من المؤلفات القيمة<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: وفاته.

توفي حجة الإسلام أبو حامد الغزالي بعد دراسته المتنوعة العميقة والواسعة في مجالات العلوم، مع المجاهدات الشاقة والطويلة، وأدى رسالته كعالم وناقد، ومصلح ومتكلم، وداعٍ وقطب من أقطاب التصوف الإسلامي.

كانت ولادة الإمام أبو حامد الغزالي سنة خمسين وأربعمائة (450هـ)، ووافته المنية يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (505هـ)، بالطابران ودفن بظاهرها، وهي قصبة بطوس \_ رحمه الله<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> عبد الكريم العثمان، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، (د.ط)، دمشق، دار الفكر، (د.ت)، ص 147.

## المبحث الثاني:

ماهية التصوف.

وتضمن:

المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي.

المطلب الثاني: مراحل التصوف وأهم مراحلها.

المطلب الثالث: مصادر التصوف.

## المبحث الثاني: ماهية التصوف.

لقد عاش المسلمون عيشة الطهر والصفاء مقتدين في ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتمسكين بكتاب الله تعالى، مؤمنين بما فيه، فتوحدت كلمتهم، وارتفع شأنهم، لكن بعد فترة من الزمن، ضعفت العقيدة لدى بعض المسلمين، وظهرت مفاصد واعتقادات خاطئة كانت منبع للجدل، مثل خَلْقِ أفعال العباد وخالق القرآن، فاختلف الناس حولها وانحرف البعض عن تعاليم الإسلام، ونشأت الفرق التي صوبت سهامها إلى كتاب الله بدعوى ظاهرها حب الدين وباطنها إفساده، فنبتت بذور الإلحاد والزندقة في البيئة الإسلامية، وكان لهذا خطر عظيم على الإسلام والمسلمين، وفرقت المسلمين إلى طوائف عديدة، وظهر إلى جانب ذلك الترف الذي شمل كل نواحي الحياة من بعض الناس، إلى أن نشأ الزهد وانتشر بينهم، وذهب بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة.

وقد بدأ ذلك في عهد مبكر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر أصحابه من ذلك الزهد الذي يدعو إلى الرهينة وترك الدنيا كلية والتفرغ الكامل للعبادة، ولكن بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، دخل في الإسلام أناس من أهل الديانات السابقة على الإسلام الذين كانوا يعتقدون أن الروح لا تصل إلى السُّمُو في ملكوت الله إلا إذا خلصت من مطالب الجسد لتطهير الروح فكثرت الزهاد المتصوفة<sup>1</sup>، وفي هذا المقام سنحاول الشرح والتفصيل أكثر في معنى التصوف وكيف نشأ التصوف في البيئة الإسلامية.

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 7.

## المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي.

قبل أن نتحدث عن نشأة التصوف الإسلامي والعوامل التي ساعدت على ظهوره، يجب أن نذكر أولاً نبذة عن تعريف التصوف لغة واصطلاحاً:

## الفرع الأول: تعريف التصوف لغة :

تعددت الآراء في أصل كلمة صوفي ورشحت لهذه الكلمة أصول كثيرة منها ما يوافق صورتها من الناحية الصرفية ومنها ما يخالفها، وقبل التفرع لمناقشة هذه المسألة ينبغي أن نذكر أن أول زاهد لقب بالصوفي في المجتمع الإسلامي كان أبا هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي [ت 150هـ/767م].

وهذه الحقيقة تفيدنا في تعيين اللفظ الذي يصلح لاشتقاق صوفي وبخاصة أن الكلمة موضوعة البحث تتأخر عن سنة 150هـ - سنة وفاة أبي هاشم الكوفي - ، ولقد رشحت ألفاظ عديدة لتكون أصلاً لكلمة صوفي منها: "الصفاء - الصفوة - الصُّفَّة - الصوفانة - سوفيا - صوفة القفا - الصوفة المرمية - الصوف"<sup>1</sup>.

ويرى الوصيفي أن كلمة التصوف من الكلمات المجهولة الاشتقاق والمصدر ولذلك اختلف علماء اللغة في أمرها على عدة أقوال، أثارت حولها الجدل واتسع لأجلها النقاش فقيل: نسبة إلى الصف الأول، وقيل نسبة إلى أهل الصفة، وقيل نسبة إلى قبيلة من العرب في الجاهلية، وهناك أقوال أخرى منها: أنها ترجع إلى كلمة (سوفيا) ومعناها: الحكمة<sup>2</sup>.

وسنحاول في بحثنا هذا شرح بعض هذه الألفاظ:

<sup>1</sup> كامل مصطفى الشبيبي، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ط1، بيروت، دار المناهل للنشر والطباعة والتوزيع، 1997م، ص7.

<sup>2</sup> أبو عبد الرحمان علي المرتضى بن السيد أحمد الوصيفي، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، (د.ط)، الإسكندرية، دار الإيمان، (د.ت)، ص36.

نسبة إلى **سوفيا** : ويتمثل في رأي من يعتقد أن الصوفي منسوب إلى كلمة "سوفيا" اليونانية، والتي تعني : الحكمة<sup>1</sup>، فهو لا يجوز لأن الحرف (س) في الترجمة الإغريقية إلى العربية كان يقابل دائماً بحرف (س) ولم يقابل بحرف (ص) ولو أن الصوفية نسبة إلى سوفيا لكتبت بالسين لا بالصاد<sup>2</sup>، ورجح ذلك من رأى أن تلك الكلمة ليس لها اشتقاق ولا قياس من حيث العربية<sup>3</sup>.

**نسبة إلى الصف الأول**: فهذا الرأي وإن جاز من ناحية المعنى لما فيه من معنى إقبال الصوفية على الله بقلوبهم ، ومسارعتهم إلى المسجد وحرصهم على الجلوس في الصف الأول لما فيه من فضل، فإنه لا يجوز من ناحية اللغة، إذ النسبة إلى الصف: صَفَى لا صُوفِي<sup>4</sup>. حيث يقول الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف: "...وقال قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعزّ، بارتفاع همهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه<sup>5</sup>.

**نسبة إلى أهل الصُفَّة**: وهو اسم أطلق على بعض فقراء المسلمين في صدر الإسلام كانوا لا بيوت لهم، فكانوا يأوون إلى صُفَّة بناها الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المسجد بالمدينة<sup>6</sup>.

**نسبة إلى الصفاء أو الصفو**: وهذا الاشتقاق صحيح من الناحية المعنوية وفاسد من الناحية اللفظية، لأنه لا يتماشى مع قواعد الاشتقاق اللغوي، لأن النسبة إلى الصفاء صَفَائِي

<sup>1</sup> موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، المرجع السابق، ص 36 .

<sup>2</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 14.

<sup>3</sup> موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، المرجع نفسه، ص 36 .

<sup>4</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع نفسه، ص 14.

<sup>5</sup> أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، القاهرة، دار الغواص، 1994م، ص 5.

<sup>6</sup> رينولد نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلاء العفيفي، (د.ط)، القاهرة، مطبعة الحنة للتأليف والترجمة والنشر، 1947م، ص 66.

لا صُوفي، وبالنسبة إلى الصَّفْو: صَفْوَى لا صوفي<sup>1</sup>، وفي هذا المقام يذكر ابن عجيبة في كتابه "إيقاظ الهمم في شرح الحكم": "...وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله في الصوفي:

تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ وَاخْتَلَفُوا      جَهْلًا وَظَنُّهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ  
وَلَسْتُ أَمْنَحُ هَذَا الْإِسْمَ غَيْرَ فَتَى      صَافِي فَصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي<sup>2</sup>

وهو ما ذهب إليه الجنيد أيضا حيث يقول في أحد تعريفاته للتصوف: "التصوف هو أن يختصك الله بالصفاء"<sup>3</sup>.

نسبة إلى صُوفَة : وهو اسم رجل كان قد انفراد بخدمة الله سبحانه وتعالى<sup>4</sup>، وهو أحد سدنة الكعبة وهو أبو حَيٍّ من مضر وهو العَوْتُ بن مُرَّ بن أُدِّ بن طابِخَةَ، وكانوا يخدمون الكعبة، ويجيزون الحاجَّ في الجاهلية، أو هم قومٌ من أفناء القبائل، تجمعوا فتشَبَّكوا كتشَبُّكِ الصُوفَةِ، وقول الجوهري: ومنه: حتى يقالَ أجزوا آلَ صُوفانا وهم، والصَّوَابُ: آلَ صُفْوَانَا وهم قومٌ من بَنِي سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ، قال أبو عبيدة: حتى يُجَوِّزَ القائمُ بذلك من آلِ صُفْوَانِ<sup>5</sup>. صُفْوَانِ<sup>5</sup>.

نسبة إلى الصوف: والأصوب أن يقال أن اشتقاق كلمة صوفي هو من "الصوف"<sup>6</sup> وهو ما ذهب إليه ابن خلدون حيث قال في مقدمته : الأظهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من لبس فاخر الثياب إلى لبس

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع نفسه، ص13.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص20.

<sup>3</sup> أبو علاء العفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، (د.ط)، بيروت، دار الشعب، (د.ت)، ص25.

<sup>4</sup> زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص53.

<sup>5</sup> مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، 2008م، ص957.

<sup>6</sup> أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص21.

الصوف<sup>1</sup> ، ويقول صاحب أساس البلاغة أيضا : صوف : فلان يلبس الصوف والقطن أي ما يعمل منهما ، وكبش صَافٍ وصَافٍ وصُوفًايُّ ، ونعجة صَافَةٌ وصُوفًايَّةٌ كثيرة الصوف<sup>2</sup> . أيضا قال صاحب المعجم الوسيط: (صَوِّف) النبات : ظهر عليه ما يشبه الصوف، وفلانا: جعله من الصوفية<sup>3</sup> .

هذه أبرز الأقوال التي قيلت في كلمة التصوف وفي اشتقاقها اللغوي حيث أن هناك من أرجعها إلى أصل أجنبي كالبيروني وبعض المستشرقين وهناك من أرجعها إلى أصل عربي داخل المعجم اللغوي، ورجح أن كلمة صوفي مشتقة من لبس الصوف، ونحن بدورنا نذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء إذ يقال تصوف الرجل إذ لبس الصوف حيث أن لبس الصوف كان شعار للعباد والزهاد لأول نشأة الزهد، وكثير من الصوفية أنفسهم يذهبون إلى هذا الرأي كسراج الدين الطوسي في كتابه اللّمع، وابن خلدون في مقدمته.

### الفرع الثاني: تعريف التصوف اصطلاحاً:

يصعب تحديد تعريف جامع مانع للتصوف كما يحدث مع الموضوعات الأخرى ومثله في ذلك كمثل الفلسفة التي تضاربت الآراء في شأن تعريفها تضارباً شديداً لما يستقر حتى الآن، ولعل مما يزيد هذه الصعوبة بالنسبة للتصوف ارتباطه بالفلسفة من قديم، في قول الكرخي<sup>4</sup>: "التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"، وهو تعريف شبيه بعبارة لالكندي في تعريف الفلسفة نصّها أنّها: "علم الأشياء بحقائقها بحسب طاقة الإنسان"<sup>5</sup> . الإنسان"<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون،(د.ط)، (د.ت) ص 863 .

<sup>2</sup> أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق : محمد باسم عيون السود، ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998 م، ج 1 ، ص 564 .

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط 2 ، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ج 1 ، ص 529 .

<sup>4</sup> الكرخي: هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ. أحد السادات، مجاب الدعوة، أستاذ سرى السقطي. كان أبواه أبواه نصرانيين، من أهم مؤلفاته قوت القلوب، توفي سنة 200 هـ وقيل 201 هـ. ينظر طبقات الأولياء، ص 280\_281.

<sup>5</sup> صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص 13.

وسنذكر بعض التعريفات الاصطلاحية للتصوف لبعض العلماء أهمها:

**تعريف الجينييد:** حيث أنه عرّف التصوف بعدة تعريفات أهمها:

التصوف أن تموت عن نفسك، وتحيا لربك. أي هو الفناء عن الذات وصفاتها والبقاء بالله. والتصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة. أي بلا علاقة تربطك بالخلق، فتكون مع الله والله وحده.

والتصوف ذكرٌ، ثم وجدٌ، ثم لا هذا ولا هذا<sup>1</sup>.

**تعريف الكتاني<sup>2</sup>:** التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء<sup>3</sup>.

**تعريف الشبلي:** التصوف الجلوس مع الله بلا هم<sup>4</sup>.

**تعريف رويم البغدادي<sup>5</sup>:** استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد<sup>6</sup>. أي الخضوع التام لإرادة الله وعدم الاعتراض.

**تعريف سمنون المحب:** التصوف أن لا يكون الصوفي مالكا لشيء، ولا أحد سوى الله تعالى مالكا له<sup>7</sup>، أي أن التصوف هو ألا تكون مستعبدا لشيء مادي أو معنوي في هذه الحياة وإنما العبودية الحقة هي لله وحده.

<sup>1</sup> فريد الدين عطار نيشابوري، تذكرة الأولياء، تحقيق: أحمد آرم، (د.ط)، (د.ت)، ص448.

<sup>2</sup> **الكتاني:** هو أبو بكر محمد بن علي الكتاني ببغداد الأصل، صحب الجنيد، والحراز، والنووي، توفي اثنين وعشرون وثلاثمائة. ينظر الرسالة القشيرية، ج1، ص53.

<sup>3</sup> التصوف الثورة الروحية في الإسلام، المرجع السابق، ص49.

<sup>4</sup> أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، 2001، ص240.

<sup>5</sup> **رويم البغدادي:** هو رويم بن أحمد، وقيل بن محمد، الفطن المكين، له البيان والتبيين والرأي المتين، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، عارفاً بالتصوف ومبانيه، مات ببغداد سنة ثلاث وثلاثمئة. ينظر الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج2، ص95.

<sup>6</sup> الرسالة القشيرية، المرجع نفسه، ص239.

<sup>7</sup> تذكرة الأولياء، المرجع السابق، ص550.

**تعريف الجرجاني<sup>1</sup>:** "التصوف مذهب كله جِدُّ فلا يخلطوه بشيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن مواقف البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واحماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة وأتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الشريعة وقيل ترك الاختيار وقيل بذل الجهود والأنس بالمعبود وقيل حفظ حواشيك من مراعاة أنفاسك وقيل الإعراض عن الاعتراض وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا وقيل الصبر تحت الأمر والنهي وقيل و قيل حزمة التشرف وترك التكليف واستعمال التطرق وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإيأس بما في أيدي الخلائق<sup>2</sup>.

**تعريف زروق :** هو علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه، وكالفة لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، وكالأصول، لتحقيق المقدمات بالبرهان وتحلية الإيمان بالإيقان، وكالطب لحفظ الأبدان، وكانحو لإصلاح اللسان، إلى غير ذلك<sup>3</sup>.

ولقد عرف الأمام **أبي حامد الغزالي** الصوفية بأنهم جماعة من المتأهلين لا يُخلى الله العالم عنهم، فإنهم أوتاد الأرض، ببركتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض، كما ورد في الخبر<sup>4</sup>، حيث قال عليه السلام: **"بِهِمْ يُمَطَّرُونَ، وَبِهِمْ يُرَزَّقُونَ، وَمِنْهُمْ كَانَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ"**<sup>5</sup>.

**تعريف ابن عجيبة:** التصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الجرجاني: هو أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني المحتسب، راوي "الصحيح" عن الفريري، توفي في صفر سنة ست وستين. ينظر سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 247.

<sup>2</sup> السيد الشريف علي الجرجاني، التعريفات، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص 62.

<sup>3</sup> أحمد بن أحمد البرنسي المغربي، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، بالطريقة، تحقيق: محمود البيروتي، ط 1، دمشق، دار البيروتي، 2004م، ص 26.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، ط 1، مصر، دار المعارف، 1964م، ص 143.

<sup>5</sup> لم نجد له تخريج.

فهذه بعض التعريفات الاصطلاحية للتصوف لدى بعض أعلامه نقلناها من كتبهم ونرى أنها تضاربت فيها آرائهم وتعارضت أقوالهم لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الآخر حيث أن الشخص الواحد يعرف التصوف بعدد من التعريفات تتباعد عن بعضها، ولكن كل هذه التعريفات تُنبأ عن حقيقة علاقة التصوف بالإسلام، حيث أنها كلها تبين البعد الأخلاقي والتربوي للتصوف ويظهر ذلك من خلال تعريف الكتاني، وأن أغلبها تشير إلى ترك الدنيا والزهد فيها، وهي تشير أيضا إلى أصالة التصوف الإسلامي وأنه مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ أيضا كل هذه التعريفات تشير إلى أن التصوف هو الطريق إلى الله و الانقطاع بالعبادة لله تعالى.

هذه هي أبرز تعريفات التصوف، أما عن نشأة التصوف فلا يُعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأمة الإسلامية حيث اختلف في هذا الأمر، فهناك من قال أن التصوف نشأ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك من قال بل نشأ قبل عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وسنحاول شرح وإيضاح دليل كل الرايين:

فالذين رأوا أن التصوف نشأ في العصر الجاهلي وقبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم استدلوا برواية حديث زُوي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد ابن إسحاق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثاً، أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف؛ فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، (د.ط)، الدار البيضاء، 1224هـ، ص25.

<sup>2</sup> أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، (د.ط)، مصر، دار الكتب الحديثة، 1960م، ص42\_43.

أما الذين ذهبوا إلى أن التصوف كان معروفاً منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته<sup>1</sup>، فاستدلوا بأن التصوف في الأصل سلوك طريقة الزهد والانقطاع إلى العبادة ومحاسبة النفس على الأفعال والتزوك، وليس لهذه المجاهدة في عهد السلف تعاليم خاصة لأنها لا تزيد على العمل بما يرشد إليه والكتاب والسنة من أحكام، ففي عهد الصحابة روي أن فريقاً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمعوا وقرروا فيما بينهم أن يسردوا الصيام ويعكفوا على العبادة ولا يقربوا النساء والطيب، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم فنهاهم في خطبة جامعة<sup>2</sup>، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87]

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدون في العمل ما استطاعوا، ويهجدون في الدنيا زهد من لا يتناول منها إلا حلالاً طيباً، وأما في عهد التابعين فقد أقبلت طائفة من فضائلهم يتحدثون عن أحوال النفس من حيث صفاؤها وصلتها بالخالق، ويلقبون في ذلك العهد الزهاد والوعاظ<sup>3</sup>، أما في القرن الأول هجري فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما دخل مصر: (تركنا بغداد وقد أحدث فيها الزنادقة شيئاً يسمونه السماع)، والزنادقة التي عناهم الشافعي هنا: هم المتصوفة؛ والسماع: هو الغناء و المواجيد والمواويل التي ينشدونها، والمعروف أن الشافعي دخل مصر سنة (199هـ) وكلمة الشافعي توحى بأن قضية السماع هذه كانت جديدة ولكن أمر هؤلاء الزنادقة يبدو أنه كان معلوماً بدليل أنه قال كلاماً كثيراً عنهم، كقوله: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يكون أحق) وكل هذا يدل على أنه قد كان هناك قبل نهاية القرن الثاني الهجري فرقة عند علماء الإسلام يسمونهم أحياناً الزنادقة، وأحياناً بالمتصوفة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 20.

<sup>2</sup> عمر عبد الكامل، التصوف بين الإفراط والتفريط، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2001 م، ص 55\_56.

<sup>3</sup> التصوف بين الإفراط والتفريط، المرجع نفسه، ص 56.

<sup>4</sup> محمد بن جميل زينو، الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، (د.ط)، مكة المكرمة، (د.ت)، ص 4.

الإتجاه الثاني: أن التصوف وصوفي لم تعرف إلا في القرن الثاني هجري<sup>1</sup>.

ويجدر بنا الإشارة إلى الذين يقولون أن التصوف وليد البيئة الأجنبية حيث اهتم الباحثون الأوروبيين في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ببيان ما سموه بالمؤثرات الأجنبية في نشأة التصوف وتطوره، حيث كان شغف هؤلاء برده إلى عوامل غريبة عن الإسلام ظاهرة امتد أثرها إلى بعض الباحثين من غير المستشرقين، حيث قرروا أن العوامل الغريبة عن الحياة الإسلامية هي التي ميزت التصوف مذهباً واضح المعالم الطريقة.

فمنهم من قال بالتأثير الإيراني في التصوف وبدأ بحكم سابق هو أن العقلية السامية عاجزة عن الفنون والعلوم، أولاً لفقرها في الخيال، وثانياً لافتقارها إلى التدقيقات الروحية والمرونة العقلية واللغوية، ولهذا رأوا أن ما نشأ في داخل الأديان السامية من تصوف إنما يرجع إلى رد فعل عنصري ولغوي وقومي من جانب الشعوب الآرية المقهورة التي غلب عليها سلطان الشاميين، ومنهم من قال بالتأثير المسيحي والعبрани: حيث أنه تأثر بأصوله ونزعاته الدينية، يهودية كانت أو مسيحية فراح يلتمس المشابه الظاهرية الخفية، يثبت وجود تأثير وتأثر، ومنهم من قال بالتأثير الهندي، حيث أن هناك من قارن بين مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي المتأخر وبين مذهب الفيدينتا، وهناك من قال بالتأثير اليوناني: وهو آخر الاتجاهات في بيان التأثيرات في التصوف الإسلامي، القول بالتأثير اليوناني، خاصة هيلينيسي. (أي اليوناني تال لفتح الاسكندر للشرق سنة 331 ق.م) حتى القرن السادس بعد الميلاد) ويندرج فيه الجانب السحري الصنعوي إلى جانب الأفكار الميتافيزيقية والغنوصية والأفلاطونية المحدثه مما يُجْمَع أحياناً تحت اسم "التوفيق الهلينيستي"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص20.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية، ط1، الكويت، وكالة المطبوعات، 1975م، ص31\_40.

## المطلب الثاني: مراحل التصوف وأهم أعلامه.

لقد مر التصوف بمراحل مختلفة، إذ بدأ بالزهد والزهاد بالبصرة وأمثالها من أمصار المسلمين، ثم تحول بعد ذلك إلى طرق صوفية لكل منها معالمها المتميزة، وسنحاول أن نذكر هذه المراحل بشيء من الاختصار.

ثم إنّ الكلام عن أعلام التصوف طويل فأعلام التصوف كُثُرٌ لكن نحن سنذكر أهم أعلامه فقط.

الفرع الأول: مراحل نشأة التصوف الإسلامي:<sup>1</sup>

قسم علماء التصوف والباحثين فيه مراحل تطور التصوف إلى مراحل وهي :

<sup>1</sup> والباحث عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم في كتابه (المذاهب الصوفية ومدارسها) يذكر أن التصوف مرّ بثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى:** ظهر التصوف في هذه المرحلة على أنه زهدا في الحياة الدنيا والبعد عن متعتها واختيار الحياة الأخرى وما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين.

**المرحلة الثانية:** دخلت بعض الأمم الإسلام نتيجة الفتح الإسلامي لها وأقبل الناس على الحياة من متع وملذات وتكالب الخلفاء على الحكم وانقسم المسلمون بين معارضين ومؤيدين للحكام، فكان لا بد أن يواجه علماء التصوف هذه الظواهر التي وجدت على المجتمع الإسلامي فأضافوا إلى التصوف تعبيرات جديدة مثل الفقر، ثم أرادوا أن يميزوا بينهم وبين بقية المسلمين فاختاروا الملابس الصوفية.

**المرحلة الثالثة:** امتزجت الثقافات الوافدة إلى المسلمين من الدول التي دخلت الإسلام مع الثقافة العربية، وأعلنت عن مولد ثقافة جديدة هي الثقافة الإسلامية، فكان لا بد أن يواجه علماء التصوف هذه الظواهر بإدخال بعض التغيرات وبعض الظواهر من حيث ترتيب المقامات والأحوال ونظام السلوك والآداب التي في الكتاب والسنة.

عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة 1999م، ص 27.

المرحلة الأولى: مرحلة الزهد الخالص والبعد عن الملذات والترفع عنها .

في هذه المرحلة كان أغلب المسلمين أهل دين وزهد، فلم تكن هناك حاجة إلى إطلاق كلمة "صوفي" في المجتمع الإسلامي للتمييز عن الآخرين، وإنما كان هناك جماعة من أفاضل الناس أدركوا مشكاة النبوة ونورها فلم يرضوا أن يتسموا بغير الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء بعدهم التابعون، وكان زهد الصدر الأول من المسلمين معتدلاً، فكان التصوف الإسلامي في بداياته الأولى طريقة عملية لا مذهب نظري<sup>1</sup>، ويمثل هذه المرحلة الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن عباس وأبو عبيدة رضي الله عنهم، وتطورت التجربة الروحية للزهاد والنسك والقراء، وبلغت مداها وذروتها عند رجال ظهوروا في نهاية المائة الثانية للهجرة عرفوا باسم مستحدث مخصوص وهو التصوف<sup>2</sup>، فالتصوف ظهر في هذه المرحلة على أنه زهد في الحياة الدنيا والبعد عن متعتها واختيار الحياة الأخرى وما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين، ويقوم المسلم على مجاهدة نفسه على الاستقامة والطاعة لله عزّ وجلّ وإتباع ما جاء في الكتاب والسنة، وقد ظهرت هذه المرحلة في الصدر الأول - في القرن الأول والثاني الهجري<sup>3</sup>.

مرحلة أتباع الزهاد والمتشبهين بالسابقين أو مرحلة الزهاد والوعاظ:

ومن بعد هؤلاء جاء الحسن البصري(ت110هـ) الذي قال عنه الشعراي في كتابه(الطبقات الكبرى):"غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلف إلا له"، وأبو سليمان داوود بن نصر الطائي(ت165هـ)، والرابعة العدوية(ت185هـ) التي عرفت بالحب الإلهي والفضيل بن عياض (ت187هـ)، وشقيق البلخي(ت194هـ)، وعرف هؤلاء بالأعمال

<sup>1</sup> عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط 1 بيروت، دار الجيل، سنة 1993م، ص 73.

<sup>3</sup> المذاهب الصوفية ومدارسها، المرجع السابق، ص 27.

الصالحة وشدة الخوف من الحق سبحانه وتعالى، والابتعاد عن ملذات الحياة ونصحوا ووجهوا إلى الالتزام بالآداب والأخلاق التي توصلهم إليه سبحانه وتعالى، وتقوي صلتهم به<sup>1</sup>.

### مرحلة أتباع الزهاد والنسك في الزهد والتقشف (مرحلة التصوف السني)

تبدأ هذه المرحلة من القرن الثالث هجري ونجد الصوفية قد عنوا فيها بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم، فصار التصوف على أيديهم علما للأخلاق الدينية، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها، وظهر الكلام في الفناء الصوفي، ومن نجدهم في هذه المرحلة البسطامي (ت261هـ)، و الجينيدي (ت297هـ)<sup>2</sup>.

### مرحلة الكلام والتحرر (مرحلة التصوف الفلسفي):

تبدأ هذه المرحلة في القرن الرابع للهجري، ومن اشتهر في هذه المرحلة الحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ)، الذي نادى بالإتحاد والحلول وأعدم لمقاتته في الحلول، ونظرة واحدة في ديوانه الشعري يظهر للباحث جليا دعوته إلى هذه الفكرة، يقول:

مُزِجَتْ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا      تُمَزَّجُ الحَمْرَةُ بِالمَاءِ الرُّلَالَا

فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي      فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي" (1288هـ / 1860م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017/2016، ص44.

<sup>2</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص18.

<sup>3</sup> الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي"، المرجع نفسه، ص45.

## الفرع الثاني: بعض أعلام التصوف.

ومن نطق بعلمهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم وأويس القرني<sup>1</sup>، أيضاً وقد اشتهر عدد كبير من علماء الأمة بالتصوف، وكانوا على هدى واستقامة من أمثال أبي سعيد الحسن البصري، المتوفى سنة (110هـ)، وأبي إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي، المتوفى سنة (116هـ)، وأبي سليمان داود بن نصير الطائي، المتوفى سنة (165هـ) وأبي علي الفضيل بن عياض الخراساني، المتوفى بمكة سنة (187هـ)، وأبي محفوظ معروف الكرخي، المتوفى ببغداد سنة (210هـ)، وأمثال أبي نصر بشير بن الحارث الحافي المروزي، ثم البغدادي، المتوفى سنة (227هـ)، وأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري، المتوفى سنة (243هـ)، وأبي الفيض ذو النون المصري، المتوفى سنة (245هـ)، وأبي الحسن سري بن الملغس السقطي، المتوفى سنة (257هـ)، وأبي زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، المتوفى بنيسابور سنة (258هـ)، وأبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي، المتوفى سنة (277هـ)<sup>2</sup>.

ومن أهل خراسان والجيل أبوا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي وأبو حفص الحداد النيسابوري وأحمد بن حضرويه البلخي وسهل بن عبد الله التستري ويوسف ابن الحسين الرازي وأبو بطر بن طاهر الأبهري وعلي بن سهل بن الأزهر الأصفهاني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> التعرف لمذهب أهل التصوف، المرجع السابق، ص 10\_11.

<sup>2</sup> التصوف بين الإفراط والتفريط، المرجع السابق، ص 20\_21.

<sup>3</sup> التعرف لمذهب أهل التصوف، المرجع نفسه، ص 11.

## المطلب الثالث: مصادر التصوف.

أما دراسة مصادر التصوف فإن الشقة بيننا وبين استكمالها مازالت بعيدة فقد حار علماء الإسلاميات الأول في تعليل ذلك الخلاف الكبير للمصدر الأول للتصوف، وسنحاول أن نعرض الآراء ممن قال بأن التصوف مصدره إسلامي وآراء من قال بغير ذلك بشيء من التفصيل.

## الفرع الأول: مصادر التصوف.

إن مسألة المصدر الأول الذي استمد منه التصوف الإسلامي تعاليمه وأسسها، كانت وما تزال موضعاً ومثاراً للخلاف في الرأي، سواء بين القدماء أم بين المحدثين، ففريق يرى أن التصوف إسلامي بحت، وأن بذرته الأولى نبتت في ظل الإسلام ونمت وترعرعت بواسطة تعاليمه السامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وفريق آخر يرى أن التصوف مذهب دخيل إلى الإسلام، ومصدره وأصله فارسي أو هندي، أو مسيحي، أو يوناني أو هو خليط ومزيج من هذا كله<sup>1</sup>.

ولكي نوضح مسألة المصدر الأول للتصوف الإسلامي الذي أخذت منه الصوفية جميع مبادئها، وجب علينا أن نعرض الآراء التي قيلت في هذا الموضوع ومناقشة أدلتها:

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 21.

أولاً: المصادر الإسلامية:

هناك فريق يرى أن التصوف عند أول تكوينه العلمي كان أخلاقاً دينية، فمن الطبيعي أن يكون مصدره الأول إسلامياً، فقد استمد من القرآن والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم على أن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن لتخرج عن نطاق الكتاب والسنة، وبذا يكون المصدران الأساسيان للتصوف في الحقيقة مما في القرآن والسنة<sup>1</sup>، وسنذكر كل من المصدرين كل واحد منهما على حدا ونذكر أدلته بالتفصيل:

### 1\_ من القرآن الكريم:

فقد حثَّ القرآن الكريم على الزهد في الدنيا والإعراض عنها، وبين لنا في آياته حقيقة الدنيا وشأنها، وأنها لهو ولعب، وأن الآخرة هي الباقية وهي الحياة الحقيقية، قال تعالى:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت:64]، فالقرآن الكريم قد حفل بكثير من الآيات التي تحث على التقشف والزهد و التحذير من حب الدنيا وزخرفها والمتأمل في آيات القرآن يجد أنه قد فتح أمام الزهاد والعباد طريق الذكر والتأمل والتنسك وقيام الليل، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ ﴿١٣﴾﴾ [ آل عمران:191]، وقال عز من قائل: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [ طه:130]، وهذا حديث عن مقام الصبر، وتحدث القرآن الكريم عن التقوى فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:13]، وتحدث عن المراقبة، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر

<sup>1</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص 37\_38.

والتوكل، والصبر، وأفاض القرآن الكريم في الصفات الحميدة، فحاول الصوفية أن يتجملوا بها ووجدوا مادتهم الأولى وغذائهم الروحي في كتاب الله تعالى<sup>1</sup>.

## 2\_ من السنة النبوية:

يمكننا التمييز في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بين فترتين، حياته قبل أن يبعث رسولا وحياته بعد البعثة، وفي كل فترة من هاتين الفترتين وجد الصوفية لأنفسهم مصدرا غنيا فيما. استمدوه من صنوف العلم وضروب العمل، ونحن إذا تأملنا حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي لوجدنا أنها تنطوي على معاني الزهد والتقشف والانقطاع والتأمل في الكون إستكناها لحقيقته<sup>2</sup>.

فقد كانت خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل البعثة، وسلوكياته التي يهتدي بها الصوفية دائما يجد أنها كانت عن طبيعة وسجية ولم تكن عن تكلف وتصنع مما يؤكد أصالتها وإسلاميتها، كما يؤكد أن استجابة الوعي الإنساني لقوى الطبيعة إنما يتشابه في كل وزمان، فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم وافاه الوحي بعد فترة من الخلوة التأملية انقطع فيها عن ظواهر الوجود، سعيا وراء الحقائق، فترك العمران في مكة، وتحول إلى الجبل، بعيدا عن صنعة الإنسان، ثم تحول إلى الظلام المطبق في جوف الغار، وتردد بينهما حسبما تطبق نفسه وتحتمل من الاستمرار والفاعلية والانفعالية<sup>3</sup>.

أما حياته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة فكانت مثالا رائعا في الزهد والتقشف. ووجد الصوفية فيها نبعاً فياضاً لهم. والقرآن الكريم يوضح لنا في إيجاز بليغ ما كان يأخذ به نفسه صلى الله عليه وسلم وتشدده في العبادة، فيقول: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ

﴿طه: 2\_1﴾، فقد جاء في سبب نزول هاتين الآيتين: (أن أبا جهل والنضر بن حارث قالاً للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من طول عبادته

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص 43.

<sup>3</sup> عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقْتباس في عصر النابلسي، ط1، بيروت، دار الحيل، 1987م، ص 187.

واجتهاده، فأنزل الله هذه الآيات. وعن جرير بن الضحاك قال: لما نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلوا، فقال كفار مكة: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد عليه السلام إلا ليشقى به، فأنزل الله (طه) يقول يا رجل، ما أنزلنا عليك الكتاب لتشقى<sup>1</sup>.

ويجدر بنا الإشارة إلى مصادر التصوف عند الغزالي حيث يقول مجدي محمد إبراهيم في كتابه التصوف السني حال الفناء بين الجينيد والغزالي أنه تعرض إلى مصادر التصوف عند الغزالي بم لها من علاقة بحال الفناء، ولقد كانت مصادر التصوف السني المعتدل ثمرة غرسها الأولون في تصوف الغزالي، فأصبح المنهج المعتدل امتداداً لهؤلاء الذين دعموا التصوف بالنفحات الروحية، ورفضوا عنه غبار العلائق الخارجية، فكان التصوف - من خلاهم - تعبيراً حقيقياً عن مصدري الكتاب والسنة<sup>2</sup>.

#### ثانياً: المصادر الأجنبية.

يرى أصحاب هذا الرأي أن مصادر التصوف عبارة عن نسيج مؤلفاً من الفلسفات الباطنية واليونانية والرومانية، وأن أصولهم ومناهجهم النظرية والعلمية تبوح بذلك، وأن ألفاظهم توضح مشاربهم، فيرى هؤلاء أن واجب الوجوب، والعلة الفاعلة، والهيولى، والهباء وعلم المعاملة، والمكاشفة، وعلم الباطن، كل هذه المصطلحات من نتاج تلك الفلسفات<sup>3</sup>.

وسنذكر شرح لبعض هذه المصادر :

#### المصدر الفارسي:

يرى فريق من العلماء أن التصوف الإسلامي تأثر بالفكر الفارسي القديم، ويستدلون على ذلك بما يحدثنا به التاريخ من وجود صلات اجتماعية وثقافية ودينية بين الفرس والعرب في

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص 29.

<sup>2</sup> مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجينيد والغزالي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 455.

<sup>3</sup> موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، المرجع السابق، ص 100.

مختلف العصور، كما يستدلون بأن فريقاً كبيراً من شيوخ الصوفية الأفذاذ الذين ظهوروا في العهد الأولى للتصوف كانوا من الفرس<sup>1</sup>.

### المصدر المسيحي:

وهناك فريق آخر يرون أن التصوف من مصدر مسيحي، ويستند القائلون بهذا الرأي إلى حجتين: الأولى ما وجد من صلات بين العرب والنصارى في الجاهلية أو الإسلام، والثانية ما يلاحظ من أوجه الشبه بين حياة الزهاد الصوفية وتعاليمهم وفنونهم في الرياضة والحلوة وبين ما يقابل هذا في حياة السيد المسيح وأقواله، والرهبان وطرقهم في العبادة والملبس، ومن الذين يذهبون إلى هذا الرأي في نشأة التصوف فون كريمر، حيث يقول في كتابه "تاريخ الأفكار البارزة في الإسلام" إلى أن الزهد الإسلامي نشأ بتأثير الزهد المسيحي، أما التصوف ففيه عنصران: إحداهما مسيحي، والآخر هندي بوذي<sup>2</sup>.

### المصدر الهندي:

يرى فريق آخر أن مصدر التصوف هو التصوف الهندي حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن الفناء الصوفي نوع من النرفانا الهندية، فقد كان للتصوف الهندي أثر في بعض نواحي التصوف الإسلامي لاسيما ما يتصل منها بالطقوس الدينية والرياضيات الروحية وأساليب مجاهدة النفس، ولقد شقت الثقافة الهندية طريقها إلى بلاد الفرس وبلاد غربي آسيا مما يلي الحدود الهندية قبل الفتح الإسلامي للهند بنحو ألف عام، والدليل على ذلك أن مدينة بلخ كانت قبل الفتح الإسلامي بقرون من أهم مراكز التصوف البوذي ومركزاً لكثير من الأديرة القديمة، وقد استمرت شهرة هذه المدينة وسمعتها الصوفية بعد الإسلام ونشأ فيها عدد كبير من أوائل المتصوفة، ومن الذين كان للتصوف الهندي أثر فيهم أبو يزيد البسطامي الذي يقول

<sup>1</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص22.

<sup>2</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص27.

عن نفسه أنه تلقى طريقته عن أبي علي السندي الذي كان يعلمه الطريقة الهندية المعروفة بمراقبة الأنفاس<sup>1</sup>.

### المصدر اليوناني:

يرى فريق من الباحثين أن مصدر التصوف الإسلامي هو الفلسفة اليونانية. ويعتمد أصحاب هذه النظرية في تقرير مذهبهم إلى تشابه أقوال بعض الصوفية وبعض الأفكار الفلسفية، سواء في ذلك مذهب أفلوطين والأفلاطونية الحديثة، خاصة فيما يتعلق بالحقيقة العليا وأنها لا تدرك بالفكر، وإنما تدرك بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس من ناحية، وعن العالم المحسوس من ناحية أخرى، أو فيما يتعلق بالمعرفة وأنها لا تحصل عن طريق الحس أو العقل. هذا هو مذهب الأفلاطونية الحديثة<sup>2</sup>. هذا بعينه هو ما ذهب إليه الصوفية من أن المعرفة لا تحصل عن طريق الحس أو العقل، بل هي تحصل بنور يقذفه الله في قلب العبد بعد أن يكون قد صفى وخلص من شوائب نفسه، وفى عما سوى ربه واستغرق في الذات الإلهية<sup>3</sup>.

### خلاصة:

وبعد استعراض الآراء المختلفة التي قيلت في نشأة التصوف الإسلامي ومصدره نودُ تنبيه الأذهان إلى فرض يبدو معقولا، وهو أن صوفية الإسلام لم يكونوا مجرد نقله عن الفرس أو المسيحيين أو اليونان، أو غيرهم لأن التصوف متعلق أساسا بالشعور والوجدان، والنفس الإنسانية واحدة على الرغم من اختلاف الشعوب والأجناس، وما تصل إليه نفس بشرية بطريقة المجاهدات والرياضات الروحية قد تصل إليه أخرى دون اتصال واحدة منها بالأخرى

<sup>1</sup> التصوف الثورة الروحية في الإسلام، المرجع السابق، ص78.

<sup>2</sup> يشير مصطلح الأفلاطونية المحدثه إلى مدرسة فلسفية فكرية ظهرت وازدهرت في أواخر العصور القديمة في العالم اليوناني الروماني، مبنية على تعاليم أفلاطون وتابعيه الأوائل.

<sup>3</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع السابق، ص24.

وهذا يعني وحدة التجربة الصوفية، وإن اختلف تفسيرها من صوفي إلى آخر بحسب الحضارة التي ينتمي إليها<sup>1</sup>.

كما أن زهاد المسلمين وصوفيتهم، إنما كانوا من صفاء النفس، وجلاء القلب، وطهر السريرة والقدرة على كشف الحقيقة؛ وطهر السريرة والقدرة على كشف الحقيقة؛ لأنهم أخذوا أنفسهم بما كان يأخذ به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه من زهد وورع وتقوى وعكوف على العبادة، فتأثرهم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم الروحية وبما ورد في كتاب الله تعالى - لا تأثرهم بالديانات والفلسفات الأجنبية - هو الذي جعل منهم زهادا وصوفية<sup>2</sup>.

ثم إن التشابه بين التصوف الإسلامي وغيره من أنواع التصوف الأجنبية لا يعني دائما وأبدا أخذه عنها، وإنما الأرجح أن يكون التصوف الإسلامي صادرا عن بواطن المسلمين، إذ معرفتهم كما يقولون هم أنفسهم ذوق وعيان، ولا تأتي عن طريق النقل والبرهان<sup>3</sup>.

ونستخلص في الأخير أن هناك اختلاف في تحديد المصادر التي كانت وراء نشوء التصوف الإسلامي، ويمكن تقسيمها إلى نوعين: مصادر داخلية تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وقد ساعد على نشأته الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تمر منها الأمة الإسلامية، والمصادر الخارجية التي تتمثل في الفكر الغنوصي<sup>4</sup> والهرمسية<sup>5</sup> والأفلاطونية المحدثة والتشيع والفكر الباطني والتيارات الهندية والفارسية والمسيحية واليهودية. فإذا كان الزهد

<sup>1</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص34.

<sup>2</sup> التصوف بين الغزالي وابن تيمية، المرجع نفسه، ص26.

<sup>3</sup> مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص35.

<sup>4</sup> الغنوصية: (Gnosticism) أي العرفانية مشتقة من الغنوص (Gnose) وهي كلمة يونانية الأصل (Gnosis) معناها المعرفة، وقد استعملت أيضا بمعنى العلم والحكمة وترجم إلى العربية بصيغة العرفان. ينظر: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، خزعل الماجدي، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2014م، ص236.

<sup>5</sup> الهرمسية: هي مجموعة المعتقدات والأفكار والتطبيقات المنتقلة في الأدب الهرميسي والمقصود بذلك مجموعة من النصوص ذات القيمة غير المتساوية المحررة بين القرن الثالث قبل المسيح والقرن الثالث بعده، ويميز عادة بين صنفين هما: الكتابات العائدة للهرمسية الشعبية (تنجيم، سحر، علوم خفية، كيمياء... إلخ) والأدب الهرميسي العلمي، وبالدرجة الأولى، منه السبع عشر أطروحة باللغة اليونانية للمدونة الهرمسية. ينظر: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المرجع نفسه، ص211.

والتصوف الإسلامي السني لهما جذور داخلية بدون شك، فإن التصوف الفلسفي كما عند الحلاج وأبي يزيد البسطامي والسهروردي على الرغم من طابعه السني والشرعي في كثير من النصوص والمواقف فإن له جذور خارجية، لتأثره بالمصادر الخارجية عن البيئة الإسلامية.

## المبحث الثالث:

نقد المتصوفة عند الغزالي وتصحيح الممارسة الصوفية.

ويشتمل على:

المطلب الأول: نقد أبي حامد الغزالي للتصوف.

المطلب الثاني: تصويبات أبي حامد الغزالي للتصوف.

## المبحث الثالث: نقد المتصوفة عند الغزالي وتصحيح الممارسة الصوفية.

إن النقد الذي وجهه أبي حامد الغزالي للتصوف نقداً بناءً، ليس هادماً غايةً تصحيح الأخطاء التي وقعت فيها المتصوفة، و الغزالي عندما انتقدهم كان واحد من مشايخ الصوفية وكان نقده عن علم ومعرفة. ولم يَتَّهَمُ الغزالي أحداً من الصوفية أثناء نقده، حيث وجد من يستمع وينصت له .

واختلف الإمام الغزالي عن غيره من النُقَّادِ، الذين كان نقدهم صادراً عن ردود أفعال، أو من جاهل بموضوع التصوف أصلاً، فلم يجدوا من يعيرهم سمعه .

لقد تعرّف الغزالي على التصوف من خلال منابعه الصافية، عند الجنيد، والحارث المحاسبي وأمثالهما.. وذلك لما رأى في الصور المعروضة أمامه من سلوك المتصوفة انحرافاً، أو تشويهاً للتصوف الذي عرفه، لم يسكت على هذا التشويه، بل ذهب بينه ويوضحه، ويبعد عن التصوف كل ما ليس منه، ليعيد له وضاءته وإشراقه وصفاءه، كما تعلمه ودرسه.

### المطلب الأول: نقد أبي حامد الغزالي للتصوف.

وعلى الرغم من أن مَحَجَّةَ الدين الإمام الغزالي يزكي الطريقة الصوفية، لأنها تتضمن العلم والعمل معاً، وأنه انحاز إلى طريقتهم الذوقية في نهاية الأمر بعد التجربة والممارسة وإتقان العلم، فإنه لم يَنَوِّانَ عن نقد معظم فرق الصوفية التي سادت في عصره وما قبله نقداً شديداً لحساب الطريقة التي رآها جديرة بالإتباع، والتي تعتمد البرهان أساساً ومنطلقاً<sup>1</sup>، وقد ذكر الغزالي كل فرقة وانتقدها قبل التطرق إلى الفرقة التي تليها، وسنحاول في هذا المطلب الوقوف على ما قام به الغزالي من بيان أخطاء هذه الفرق:

<sup>1</sup> أنور الزعبي، مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ط 1، دمشق، دار الفكر، سنة 2000 م، ص 187.

**الفرقة الأولى:** يذهب أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء أن أصحاب هذه الفرقة هم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله، اغتروا بالزني والهيئة والمنطق، فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم، وفي ألفاظهم وفي آدابهم وفي مراسمهم واصطلاحاتهم، وفي أحوالهم الظاهرة وفي السماع والرقص والطهارة والصلاة، والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمفكر، وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات<sup>1</sup>، فلما تعلموا ذلك ظنوا أن ذلك ينجيهم.. ولم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة.. والرياضة والمراقبة للقلب في تطهير الباطن والظاهر من الآثار الخفية والجلية.. وكل ذلك من منازل الصوفية.. ثم إنهم يتكالبون على الحرام والشبهات.. وأموال السلاطين، ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة، ويتحاسدون على النقيير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه، وهؤلاء مغرورين<sup>2</sup>. ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبتت أسماءهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة، فتأقت نفسها إلى ذلك فلبست درعاً ووضعت على رأسها مغفراً، وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً، وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان، وتلققت جميع شمائلهم في الزني والمنطق والحركات السكنات، ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان، فلما وصلت إلى المعسكر أمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وتمتحن بالمبارزة ليعرف قدر عنائها في الشجاعة، فلما جردت فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع. فقيل أجهت للاستهزاء بالملك؟، خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل، فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على الله تعالى الذي لا ينظر إلى الزني والمرقع بل إلى القلب<sup>3</sup>.

**الفرقة الثانية:** يذكر الإمام أبو حامد أن هاته الفرقة ازدادت على سابقتها في الغرور، إذ صعب عليها الاقتداء في بذاذة الثياب، والرضا بالدون في المطعم والمنكح والمسكن، وأرادت

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1323\_1324

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، (د.ط)، القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 68\_67.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 1324.

أن تتظاهر بالتصوف، ولم تجد بُدًا من التزي بزيبهم، فتركت الخبز والإبريسم، وطلبت المرقعات النفيسة، والفوط الرقيقة، والسجادة المصبوغة، وقيمتها أكثر من قيمة الخبز والإبريسم، ولا يجتنبون معصية ظاهرة، فكيف باطنه، وإنما غرضهم رغد العيش، وأكل أموال السلاطين<sup>1</sup> وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير، وشر هؤلاء مما يتعدى الخلق، إذ يُهْلَك من يُقْتَدَى بهم، ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة، ويظن أن الجميع كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم، وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم<sup>2</sup>.

**الفرقة الثالثة:** وكما جاء في كتاب صالح أحمد الشامي (الإمام الغزالي حجة الإسلام ومحدد المائة الخامسة)، أن الفرقة الثالثة هي الفرقة التي ادعت المعرفة بترديد كلمات هي طامات، ويظن أنه أوتي علم الأولين والآخرين، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الإزدراء، فضلاً عن العوام<sup>3</sup>، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة، ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد: إنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء: إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين<sup>4</sup>. وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين، لم يُحْكِم قَطُ علماً، ولم يهذب خلقاً، ولا يراقب قلباً سوى إتباع الهوى، وتلفيق الهديانا، ولو اشتغلوا بما ينفعهم كان أحسن لهم<sup>5</sup>.

**الفرقة الرابعة:** يرى الغزالي أن أصحاب هذه الفرقة وقعوا في الإباحة، وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام، وسووا بين الحلال والحرام، وهم فئات. ومن هؤلاء طائفة ظنت أن المقصود من العبادات المجاهدة، حتى يصل بها العبد إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة، وزعموا أنه ارتفع

<sup>1</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر السابق، ص 69\_68.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1324.

<sup>3</sup> الإمام الغزالي حجة الإسلام ومحدد المئة الخامسة، المرجع السابق، ص 120.

<sup>4</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 1325\_1324.

<sup>5</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر نفسه، ص 70.

عن محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكاليف عن عوام الخلق<sup>1</sup> وطائفة أخرى قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يغتر به من لم يجرب، وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال. ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوات والغضب من أصلهما، بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع، وطائفة أخرى تقول أن الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله وواصله إلى معرفة الله. وأصناف غرور أهل الإباحة المتشبهين بالصوفية لا تحصى، وكل ذلك بناءً على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم<sup>2</sup>، وحكم الغزالي على هذه الفئات بأنها مذاهب باطلة وضلالات هائلة<sup>3</sup>.

**الفرقة الخامسة:** يقول العلامة حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي بأنها فرقة ضيقت على نفسها أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص، وأهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه فيتعمق في ذلك، ولم يدري المسكين أن الله تعالى لم يرضى من العباد إلا بالكمال في الطاعات، فمن اتبع البعض، وأهمل البعض فهو مغرور<sup>4</sup>.

**الفرقة السادسة:** يرى أبو حامد أن أصحاب هذه الفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية؛ فجمعوا قوماً وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال، وإنما غرضهم التكبر، وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق وغرضهم الاستتباع، وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام من الشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم، وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم، وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج

<sup>1</sup> علي محمد الصلابي، الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2006م، ص62.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1325.

<sup>3</sup> علي محمد الصلابي، الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد، المرجع نفسه، ص62.

<sup>4</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر السابق، ص71\_72.

على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإنفاق، وباعث جميعهم الرياء والسمعة، وآية ذلك: إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهراً وباطناً، ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه. ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعدرة ويزعم أن قصده العمارة<sup>1</sup>.

**الفرقة السابعة:** نَظَرَ الغزالي بأن هذه الفرقة هي التي اشتغلت بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها، وصاروا يتعمقون فيها، فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خداعها علماً وحرفاً لهم، فهم في جميع الأحوال يشتغلون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتهما، فيقولون: هذا في النفس عيب، والغفلة في كونه عيباً عيب ويشتغلون فيها بكلمات متلبسة، وضيقوا في ذلك أوقاتهم، وكأنهم وقفوا مع أنفسهم، ولم يشتغلوا بخالقهم مثال من اشتغل بأوقات الحج وعوائقه، ولم يسلك طريق الحج، وذلك لم يُغنيه عن الحج<sup>2</sup>.

**الفرقة الثامنة:** وهذه الفرقة قال فيها الإمام الغزالي بأن أصحابها جاوزوا رتبة الاشتغال بالنفس وتهذيب الأخلاق وابتدؤوا سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة، فكلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفاف إليها والتفكير فيها، وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم، وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية، فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد، وكان مثاله مثال من قصد ملكاً فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها، فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك<sup>3</sup>.

**الفرقة التاسعة:** يقول حجة الإسلام بأنها جاوزت الفرقة السابقة، ولم تلتفت إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق، ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة، ولم يلتفتوا إليها

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1325\_1326.

<sup>2</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر السابق، ص 72\_73.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 1326.

ولا عرجوا عليها، جادين في السير، فلما قاربوا الوصول ظنوا أنهم وصلوا فوقفوا، ولم يتعدوا ذلك، وغلطوا، فإن لله سبعين حجاب من نور وظلمة، ولا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام إذ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَاتِ﴾ [الأنعام: 76] وما أكثر الحجب في هذا المقام<sup>1</sup>.

وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول، وأول الحجب بين الله وبين العبد هي نفسه، وهو نور من أنوار الله تعالى، أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم، وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له، فإذا تجلى نوره وكشف جمال القلب ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه، فيقول: أنا الحق. فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك<sup>2</sup>.

وخلاصة القول الإمام أبي حامد الغزالي نقد الصوفية انطلاقاً من أقوال المشائخ وأخبارهم ولاحظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها، فأما علم الطب والحساب والصناعات، وما يُعلم أنه ليس من علوم الشرع فكان غرورهم بها أقل من الغرور بعلوم الشرع<sup>3</sup>.

وعليه فالغزالي كان دقيقاً فبين الأغاليط والأخطاء التي وقعت فيها الفرق المنتسبة للمتصوفة ضانين أنهم سالكو السبيل الصحيح، وفي هذا المقام نؤكد على ما ذهب إليه أبا حامد الغزالي في رأيه، فقد أبرز لنا الغزالي بعض عيوب هذه الفرق المغترّة، كالتّي اغترت بالزّي والهيئة، والتي لم تشتغل بالمجاهدة ومراقبة القلب وتطهيره، وبعضهم لم يعرفوا من الأحوال والمقامات إلا الأسمي والألفاظ، ومنهم من اعتقدوا أن التوكل يعني المخاطرة بالروح وغيرها

<sup>1</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر السابق، ص 74.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1327، بتصرف.

<sup>3</sup> الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، المصدر نفسه، ص 17.

من الفرق التي سبق ذكرها، ولا يسعنا هنا إلا أن نذهب إلى ما ذهب إليه الغزالي حيث نرى أن هاته الفرق مغرورة في زعمهم بأنهم متصوفة وفرق صوفية وهي متشبهة فقط لا غير. ولذلك نقدها الغزالي وحكم عليها بأنها فرق ضالة ومتبعة لأهوائها .

## المطلب الثاني: تصويبات أبي حامد الغزالي للتصوف.

قبل أن نبدأ بالتصحيحات يجدر بنا الإشارة إلى أن الغزالي كانت تصويباته على مستويين فقد صحح التصوف في الجانب السلوكي والتصوف في الجانب العرفاني:

### 1\_ الفرع الأول: تصويباته للتصوف في الجانب السلوكي:

فقد قسم الغزالي السلوك الصوفي إلى قسمين عام وخاص<sup>1</sup>:

أ\_ السلوك العام : فهو الذي يتعلق بمجموع المكلفين من حيث القيام بآداء الفرائض كما أمر الشارع بها آداء وتحققاً، واجتناب النواهي ظواهرها وبواطنها.

وكل ذلك لا يتم إلا بالممارسة الصوفية والتتلمذ على المشايخ، ولقد حصر الغزالي السلوك العام في الميادين التالية انطلاقاً من كتابه الإحياء: آداء الشعائر التعبدية بدقائق آدابها وسننها، التزام الآداب الإسلامية في جميع الأحوال، تخلية القلب من كل الآفات، تخلية القلب بالأحوال الإيمانية.

ب\_ السلوك الخاص: نجد في كتب الغزالي التفريق بين درجات المؤمنين، فهم بين عوام وخواص و خواص الخواص، فللوع مثلاً أربع مراتب:

1\_ الورع العام: هو الذي يشترط في عدالة الشهود، وهو الاحتراز من الحرام الظاهر.

2 \_ ورع الصالحين: وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نور الدين أبو لحية، الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016م، ص 137.

<sup>2</sup> أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، دون رقم حديث، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422، ج3، ص53.

3\_ ورع المتقين: وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>: "لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذْرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ"<sup>2</sup>.

4\_ ورع الصديقين: وهو الإعراض عما سوى الله تعالى.

ونرى أن الكاتب استنبط من هذا التقسيم رؤية الغزالي للسلوك الخاص، فهو يرى أن خاصة الخاصة أو المقربين مستغرقون في سلوكهم بالله تعالى قاصرون همهم عليه، فلا يجنون إلا الله، ولا يخافون إلا منه، ولا يتوقعون من غيره ولا ينظرون إلى شيء إلا ويرون الله تعالى فيه<sup>3</sup>.

وبعد أن قسم أبو حامد السلوك الصوفي إلى عام وخاص، وبعد أن فرغ من هذه العلوم بدأ بتصحيحه للتصوف

وسنذكر بعض تصحيحاته للسلوك معتمدين على تقسيماته المعروفة في كتابه الإحياء وهي: ريع العبادات، ريع العادات، ريع المهلكات، ريع المنجيات. وسنبداً أولاً بالعبادات والتي سنتطرق فيها للعلم والصلاة والصوم.

## 1\_ تصحيحه للعبادات.

لقد ذكر الغزالي في كتابه الكشف والتبيين بعض أخطاء المتصوفة فقال في الفرقة الرابعة أن بعض المتصوفة وقعت في الإباحة، وطوت بساط الشرع ورفضت الأحكام، وسوت بين الحلال والحرام، وهم فئات. ومن هؤلاء طائفة ظنت أن المقصود من العبادات المجاهدة، حتى

<sup>1</sup> الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، المرجع السابق، ص 137\_141، بتصرف.

<sup>2</sup> أخرجه محمد بن عيسى الضحاك، الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم: 2451، تحقيق: أحمد محمد شاكر \_ محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، ط2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1975 م، ج4، ص634.

<sup>3</sup> الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، المرجع نفسه، ص141.

يصل بها العبد إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة، وزعموا أنه ارتفع عن محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكاليف لعوام الخلق<sup>1</sup>.

بينما نجدد رحمه الله أكد على التمسك بالعبادات والتكاليف على كل مكلف، ويبيّن أنه على كل مكلف أن يسعى عمره كله للإتيان بها على وجهها الصحيح.

### الصلاة:

وبالإضافة إلى إسقاط التكاليف لدى بعض الصوفية نجد فئة منهم إنفردوا في المساجد للصلاة والتعبد، فعرفوا بذلك واجتمع إليهم الناس فصلوا بصلاتهم<sup>2</sup> وهذا خطأ، فالإمام الغزالي شرح الصلاة بقوله: أنها لما كانت هي أفضل العبادات كررنا الحثّ عليها إقتداءً بكتاب الله عزّ وجلّ، فمما ورد في فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: " مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً خَيْرًا مِنْ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ فِي رُكْعَتَيْنِ يُصَلِّيَهُمَا"<sup>3</sup>.

قال محمد بن سيرين رحمه الله " لو خُيِّرْتُ بين ركعتين وبين الجنة لآخِرتُ الركعتين على الجنة لأن في الركعتين رضا الله وفي الجنة رضائي"<sup>4</sup>.

ثم شرع الغزالي في تصويباته للصلاة فيقول: " فإذا فرغت من طهارة الحدث، وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان، ومن ستر العورة من السُرّة إلى الركبة.. فاستقبل القبلة قائماً مُرَاحاً بين قدميك؛ بحيث لا تَضُمَّهُمَا، واستوي قائماً، واقراً (قل أعوذ برب الناس) تحصناً من الشيطان الرجيم، وأحضر قلبك، وفرغه من الوسواس، وانظر بين يدي من تقوم ومن تناجي

<sup>1</sup> الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد، المرجع السابق، ص 62.

<sup>2</sup> جمال الدين عبد الرحمان بن الجوزي، تلبيس إبليس، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص 814.

<sup>3</sup> أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، بحديث نحوه، حديث رقم: 7656، تحقيق: عبد المجيد السلفي، ط 2، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، 1983 م، ج 8، ص 151.

<sup>4</sup> أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق: أبو عبد الرحمان صلاح محمد محمد عويضة، (د.ط)، (د.ت)، ص 189.

واستحيي أن تناجي مولاك بقلب غافل ومصدر مشحون بوساوس الدنيا، وخبائث الشهوات.

واعلم: أنه عز وجل مطلع على سريرتك، وناظر إلى قلبك، وإنما يتقبل الله صلاتك بقدر خشوعك وتواضعك وخضوعك وتضرعك<sup>1</sup>.

واعلم أن الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبنة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث، واختلفوا في الخشوع هل من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين، واستدل من قال بالأول بحديث<sup>2</sup>: "لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ إِلَّا مَا عَقَلَ"<sup>3</sup>.

وتكلم الغزالي عن السجود في كتابه المنقذ من الضلال حيث قال: " أن السجود يعين على ترويض النفس لتتركى، وهو بذلك من الوسائل التي توصل إلى الجنة".

وفي هذا المعنى يروي مسلم عن أبي عبد الرحمان، ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ"<sup>4</sup>.

والسجود الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث ليس مجرد الحركة المعروفة، وإنما هو المعنى العميق في النفس الذي يتمثل فيه جلال الله وعظمته، ورحمته وودده ويتمثل فيه الخضوع لهذا الجلال، وهذه العظمة، والانقياد المطلق لرحمة الله التي تتمثل في الرسالة الإسلامية وأمرها ونواهيها.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، بداية الهداية، ط 1، دار المنهاج، 2004، ص 133.

<sup>2</sup> مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، المصدر السابق، ص 39.

<sup>3</sup> أخرجه أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق، باب فضل ذكر الله عز وجل، بحديث نحوه، حديث رقم: 1300، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 459.

<sup>4</sup> أخرجه مسلم بن حجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، حديث رقم: 488، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج 1، ص 353.

فإذا ما كان السجود تعبيرا عن التظامن و التذلل، كان ذلك عبادة، وخضوعاً لله سبحانه وتعالى، وكان بذلك سبيلاً إلى الجنة، وإلى أكثر من الجنة وهو القرب من الله<sup>1</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19].

ثم ذكر الغزالي أن من شروط الصلاة الخشوع وحضور القلب حيث قال: اعلم أن أدلة ذلك كثيرة، ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14]، وظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؟ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، نهي وظاهره التحريم، وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا.

ثم يقول أن الحسن روى أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متمعداً وهو في الصلاة فلا صلاة له. وروي أيضاً مسنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا"<sup>2</sup>، ويقول الغزالي أن الحق في هذه المسألة الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار، والآثار الظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يَتَقَدَّرُ بِقَدْرِ قُصُورِ الْخَلْقِ، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقترنا على التكليف بذلك.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 165\_164

<sup>2</sup> أخرجه ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بحديث نحوه، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، حديث رقم: 1889، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م، ص 210.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 190.

### الصوم:

لقد قسم الغزالي الصوم إلى ثلاث أقسام حيث يقول في كتابه الإحياء: "اعلم : أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدينية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عزّ وجلّ بالكلية."<sup>1</sup>

ثم شرع بتصحيحه بعد تقسيمه لدرجات الصوم حيث قال: "فإذا صُمْتَ فَأَنْوِ بِصَوْمِكَ كَفَ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ فَإِنَّ الصَّوْمَ فَنَاءٌ مَرَادُ النَّفْسِ، وَفِيهِ صَفَاءُ الْقَلْبِ، وَضِمَارَةُ الْجَوَارِحِ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَالِاتِّجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالشُّكْرِ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ النِّعَمِ وَتَخْفِيفِ الْحِسَابِ، وَمِنَّةُ اللَّهِ فِي تَوْفِيقِكَ لِلصَّوْمِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَقُومَ بِشُكْرِهَا وَمَنْ صَوْمَكَ أَنْ لَا تَطْلُبَ مِنْهُ عَوْضًا"<sup>2</sup>.

وقال أيضاً في كتابه "بداية الهداية" : ولا تَظَنَّ إِذَا صُمْتَ أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ تَرَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَ الْوِقَاعِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَمْ مِنْ صَائِمٍ .. لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ " <sup>3</sup>.

بل تمام الصيام بكفّ الجوارح كلها عمّا يكره الله تعالى، فينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره، واللسان عن النطق بما لا يعينيك، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله عزّ وجلّ، فإن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين.

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص277.

<sup>2</sup> أبي حامد الغزالي، منهاج العارفين، (د.ط)، بغداد، مطبعة المعارف، 1968م، ص33.

<sup>3</sup> أخرجه أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن أشد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بحديث نحوه، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 9685، تحقيق: شعيب الأرنؤوط\_عادل مرشد وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج15، ص428. أخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الدرامي، بحديث نحوه، كتاب الرقاق، باب في المحافظة على الصوم، حديث رقم: 2762، تحقيق: حسين سليم أسد الدراني، ط1، المملكة العربية السعودية، دار المغني، 2000م، ج3، ص1788.

فإذا عرفت معنى الصوم.. فاستكثر منه ما استطعت، فإنه أساس العبادات، ومفتاح القربات<sup>1</sup>.

والغزالي يذكر أن الصوم لا يقتصر على صوم شهر رمضان فقط، بل توجد أيام صيامها من النوافل كيوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد، وهذه في السنة، وأما في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره، والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما في الأسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة، فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة، وتكفر ذنوب الشهر باليوم الأول من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض، وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة<sup>2</sup>.

ثم إن الغزالي تكلم في إحياءه عن لوازم الإفطار وذكر أنها أربعة وهي: القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين، فقال في القضاء: أن وجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر، واستثنى الغزالي الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم، وأما الكفارة فذكر أنها لا تجب إلا بالجماع، والكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكيناً مداً مداً، ثم ذكر الغزالي أن الإمساك بقية النهار: يجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه، ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك، وأما الفدية: فذكر أنها تجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما، لكل يوم مائة حنطة لمسكين واحد مع القضاء، والشيخ الهرم إذ لم يصم تصدق عن كل يوم مداً.

<sup>1</sup> بداية الهداية، المصدر السابق، ص 169\_166.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، بداية الهداية ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، المصدر السابق، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، (د.ط)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ص 412.

وتكلم الغزالي أيضاً عن سنن الصوم وعدها كالتالي: تأخير السحور، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة، وترك السواك بعد الزوال، والجلود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة، ومدارسة القرآن، والاعتكاف في المسجد<sup>1</sup>.

### الذكر:

من بعض مشايخ الصوفية أرادوا أن ينصّبوا من أن أنفسهم مُشَرَّعاً لمجموعة من المُريدِين وكان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للأتباع والمريدِين، فوضع كل منهم أذكاراً مخصوصة<sup>2</sup> به لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهناك من غَال في الذكر حيث ذكر القشيري في رسالته: أن الشبلي كان في إبتداء أمره ينزل كل يوم سرباً (أي طريقاً) ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان (أي الخشب)، فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه، فربما كانت الحزمة تفتى قبل أن يمسي، فكان يضرب يده ورجله على الحائط<sup>3</sup>. وهذا مثال على غلو بعضهم في الذكر، بينما نجد الغزالي يقول في الذكر:

اجعل قلبك قبلة لسانك واشعر عند الذكر حياء العبودية وهيبة الربوبية واعلم بأن الله تعالى يعلم سر قلبك ويرى ظاهر فعلك ويسمع نجوى قولك، فاغسل قلبك بالحزن وأوقد فيه نار الخوف فإذا زال حجاب الغفلة عن قلبك كان ذكرك به مع ذكره لك قال الله تعالى:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] لأنه ذكرك مع الغنى عنك وأنت ذكرته مع الفقر إليه، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] فيكون اطمئنان القلب في ذكر الله له ووجهه في ذكره لله، قال

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 276.

<sup>2</sup> عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط2، الكويت، مكتبة ابن تيمية، (د.ت)، ص 283.

<sup>3</sup> الرسالة القشيرية، المرجع السابق، ص 375.

الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 02]، والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب في سقوط النظر إلى غير الله، وذكر صاف بغناء الهمة عن الذكر.<sup>1</sup>

ويدل على فضيلة الذكر الجملة من الآيات منها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، قال ثابت البناني رحمه الله - إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: 103]، قال ابن عباس رضي الله عنه - أي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

وتكلم الغزالي على فضيلة مجالس الذكر والتهليل وفضيلة التسبيح والتحميد في كتابه "الإحياء" فقال في فضيلة مجالس الذكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ"<sup>3</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى

<sup>1</sup> منهاج العارفين، المصدر السابق، ص 17\_18.

<sup>2</sup> مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، المصدر السابق، ص 148.

<sup>3</sup> أخرجه ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، بحديث نحوه، حديث رقم: 3791، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ج 12، ص 1245.

لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورٌ لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ"<sup>1</sup>.

وقال رحمه الله في فضيلة التهليل: قال صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"<sup>2</sup>.

وقال رحمه الله في فضيلة التسييح والتحميد: قال صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>: "مَنْ سَبَّحَ ذُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَخَتَمَ الْمَائَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"<sup>4</sup>.

## 2\_ تصحيحه للعادات:

### الحلال والحرام:

بيّن الغزالي فضيلة الحلال ومذمة الحرام مستدلاً بالكثير من الآيات والأحاديث النبوية، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنين: 51]، أمر الله تعالى بالأكل الطيبات من قبل، وقيل إن المراد به الحلال. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278]

<sup>1</sup> أخرجه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، بحديث نحوه، حديث رقم: 12452، (د.ط)، (د.ت)، ج 19، ص 437. وأخرجه أبو بكر أحمد بن عبيد العتكي، البزار، مسند البزار، بحديث نحوه، رقم الحديث: 6467، تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله وعادل بن سعد وآخرون، ط 1، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، (د.ت)، ج 13، ص 102.

<sup>2</sup> أخرجه أبو الحسن علي بن محمد عراق الكناي، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، حديث رقم: 22، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف \_ عبد الله بن محمد الغماري، (د.ط)، (د.ت)، ج 2، ص 300.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 350\_354، بتصرف.

<sup>4</sup> أخرجه أبو عبد الرحمان بن علي الخرساني، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة عونك يارب على ما بقى، حديث رقم: 9894، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج 9، ص 61.

ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 275]، جعل أكل الربا أول الأمر مؤذناً بمحاربة الله، وفي الآخرة معرضاً للنار.

ومن الأحاديث النبوية الواردة في الحلال والحرام كثيرة منها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حِلِّهِ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَالًا لًا فِي عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ"<sup>1</sup>، وغيرها من الأحاديث الدالة على الحلال والحرام<sup>2</sup>.

وبعد معرفة فضيلة الحلال والحرام سننتقل إلى درجات الحلال والحرام التي وضحتها أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء، حيث قال: "اعلم أن الحرام كله خبيث، لكن بعضه أخبث من بعض، والحلال كله طيب، وكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول: بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالفانيد، وبعضها حار في الثالثة كالدبس، وبعضها حار في الرابعة كالعسل. كذلك الحرام بعضه خبيث حار في الدرجة الأولى، وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة، وكذلك الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه... فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر، وكذا غيره، فلذلك نقول: الورع عن الحرام على أربع درجات"<sup>3</sup>

الأولى: ورع العدول، وهو الورع الذي يجب الفسق باقتحامه وسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه، وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين: وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، ولكن المفتي يرخص في تناول بناءً على الظاهر، فهو من مواقع الشبهة على الجملة، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين.

<sup>1</sup> أخرجه أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، مجلدت نحوه، كتاب السير، باب الرجل لا يجد ما ينفق قال الله عز وجل: ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج، حديث رقم: 17824، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج9، ص43.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، الحلال والحرام، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، 1987م، ص 5\_6.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 541.

الثالثة: ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حلّه، ولكن يخاف من أداؤه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ممّا به بأس.

الرابعة: ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التّقوّي به على عبادة الله، والامتناع منه ورع الصّدّيقين<sup>1</sup>.

وأما الحرام الذي ذُكر في الدرجة الأولى؛ وهو أن يشترط التورع عنه في العدالة اطراح سمة الفسق، فهو أيضاً على درجات في الخبث، واختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض، حتى إذا اضطر إلى أكل الميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإننا نقدم بعض هذا على بعض<sup>2</sup>.

### السمع والوجد :

لقد أضفت بعض الصوفية، على السمع، طابعاً من الروحانية، وأحاطوه بهالة من التقديس، وليس أدل على اشتطاطهم (أي إفراطهم) فيه، أن جعلوه من المواطن التي تنزل فيها الرحمات على المريدين، وجعلوه من دقائق علوم المكاشفات. ومما أستأثر الله بعلمه. وقال من قال منهم بارتباط النعمات بالملأ الأعلى<sup>3</sup>.

والحاصل: أنهم غلوا فيه، ودخلهم في شأنه التلبيس، لما رأوا من أثر النعمات على الأرواح، والنفوس، بينما نجد الغزالي لم يغلو فيه، ووقف موقف محايد.

فنجده يعرف السمع بأنه: السمع هو أول الأمر، ويثمر السمع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الإضطراب، وأما موزونة فتسمى التصفيق والرقص.

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 541.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 542، بتصرف.

<sup>3</sup> صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، 1994م، ص 691.

ثم ذكر أن السماع اختلفوا في تحريمه وإباحته، فهناك من يحرمه و هناك من يبيحه، ومن الذين حرّموه الشافعي ومالك وأبو حنيفة وجماعة من العلماء .

قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "آداب القضاء": إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفیه تُرد شهادته<sup>1</sup>.

وأما مالك رحمه الله نهى عن الغناء وقال: إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له ردها.

وأما أبو حنيفة رضي الله عنه: فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب. وهذا كله منقول عن أبو الطيب الطبري<sup>2</sup>.

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، ومعاوية وغيرهم، وقال: قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان، وقال: لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة، وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا، فأدركنا أبا مروان القاضي وله حوارٌ يُسمِعُ الناس التلحين قد أعدهُنَّ للصوفية، قال: وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما. قال: وقيل لأبي الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطي وذو النون يستمعون؟ فقال: كيف أنكروا السماع وقد أجازوه وسمعه من هو

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 739.

<sup>2</sup> الإحياء، المصدر نفسه، ص 739 .

خير مني؟ فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع، وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع<sup>1</sup>.

قد أسس الغزالي نظريته في السماع، على مقدمة مشهورة لدى كبار الصوفية، وهي: "أن القلوب والسرائر خزائن الأسرار، ولا سبيل إلى استشارة خفاياها، إلا بقوادح السماع ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع"، وبما أن قوادح السماع هي النغمات الموزونة المستلذة، و بها ينكشف ما في القلوب من أسرار، فقد أوجب ذلك، بيان الشروط الواجب مراعاتها في كل سماع، حيث بيّن الغزالي ثلاثة مقامات في السماع وهي: مقام الفهم، مقام الوجد، مقام آداب السماع<sup>2</sup>.

فمقام الفهم: وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع، وللمستمع أربعة أحوال:

1\_ الحالة الأولى: أن يكون سماع بمجرد الطبع؛ أي لاحظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات، وهذا مباح وهو أحسن رُتب السماع.

2\_ الحالة الثانية: أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معيناً وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات، ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم، وهذه الحالة أحسن من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها.

3\_ الحالة الثالثة: أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة والتعذر أخرى، وهذا سماع المريدين لاسيما المبتدئين، فإن للمريد لا محالة مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه و الوصول إليه بطريق المشاهدة وكشف الغطاء، وله في مقصده طريق هو سالكه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مكاشفة القلوب، المصدر السابق، ص251.

<sup>2</sup> محمد الهادي الطاهري، "التربية على التواصل عند أبي حامد الغزالي"، قسم الدراسات الدينية، 18 أبريل 2017م، ص 8.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص764\_760.

4\_ الحالة الرابعة: سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن. وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فُني عن نفسه، ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى، فكأنه فني عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود<sup>1</sup>.

#### المقام الثاني: بعد الفهم والتنزيل (الوجد):

أما مقام الوجد، فعبارة عمّا يجده السامع في قلبه من سماع الأصوات والألحان، لأن في القلوب كما يقول الغزالي، أموراً لا تُقدّر قوة النطق على إخراجها وإظهارها، " فأخرجتها النفس بالألحان"، وهو لذلك وارد حق يرد على القلوب بفضل السماع، وهو على ضربين: مكاشفات وحالات، فأما المكاشفات : فهي أن يتسنى للقلب إدراك نوع من العلوم، لسبب من الأسباب أهمها: التنبيه بالسماع خلافاً للأحوال وهي: أن تثير الأسماع في السامع سيلاً من الانفعالات لا يقف لها على سبب، كأن يجد السامع نفسه في حال سرور أو حال حزن، أو حال شوق، وهو لا يدرك سرّ فرحته أو سبب حزنه، أو حتى لمن هو يشفق، ويترب عن تلك الأحوال اضطراب، عدم العلم بدواعي الحزن، أو السرور أو الشوق، فيدهش، ويتحير، ويضطرب، ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص<sup>2</sup>.

#### المقام الثالث: آداب السماع:

لقد قال الغزالي في آداب السماع: نذكر فيه آداب السماع ظاهراً وباطناً وما يحمد من آثار الوجد وما يذم. فأما الآداب فهي خمسة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 764.

<sup>2</sup> التربية على التواصل عند أبي حامد الغزالي، المرجع السابق، ص 9\_10.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 775.

**الأدب الأول:** مراعاة الزمان والمكان والإخوان. قال الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع: الزمان والمكان والإخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له. وأما المكان: فقد يكون شارعاً مطروحاً أو موضعاً كربه الصورة، أو فيه سبب يشغل القلب فيتجنب ذلك. وأما الإخوان: فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهّد الظاهر، مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلاً في المجلس واشتغل القلب به، فترك السماع عند هذه الشروط أولى<sup>1</sup>.

**الأدب الثاني:** هو نظر الحاضرين، أن الشيخ إذا كان حوله يريدون يضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر، والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة:

**أقلهم درجة:** وهو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع.

**الثاني:** وهو الذي له ذوق السماع، ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية، ولم ينكسر إنكساراً تؤمن غوائله، فرمما يُهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة، فيقطع عليه طريقه ويصُدّه عن الاستكمال<sup>2</sup>.

**الثالث:** أن يكون قد انكسرت شهوته آمنت غائلته، وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى، ولكنه لم يُحكّم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل، فإذا فُتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع.

**الأدب الثالث:** أن يكون مُصغياً إلى ما يقول القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب، متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد. مشتغلاً

<sup>1</sup> الإحياء، المصدر السابق، ص 776.

<sup>2</sup> الإحياء، المصدر نفسه، ص 776.

بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره... فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو معذور غير ملوم. ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه.<sup>1</sup>

**الأدب الرابع:** أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه، ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المُرَاءاة؛ لأنّ التباكي استجلاب للحزن، والرقص في تحريك السرور والنشاط. فكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزنون.

وأما عن تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد، أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه، وتكون صورته صورة المكروه.<sup>2</sup>

**الأدب الخامس:** موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة. وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته. أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق؛ فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة.<sup>3</sup>

### 3\_ تصحيحات الغزالي للمهلكات.

#### الرياء.

كان البعض من المتصوفة واقعين في الرياء، فمنهم من يظهر النحول والصفار، ليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليالي، ومن الرياء أيضاً تشعيث الشعر، وحلق الشارب، وإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 776.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 778.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 779.

الثياب ، وتشميرها إلى قريب من الساق، وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب، والتطويل في الركوع والسجود<sup>1</sup>، فهذه تصرفات بعض المتصوفة المرئيين، بينما نجد الغزالي يمتدح الرياء والمرئيين، فقد نصح تلميذه في رسالته " أيها الولد " بثمانية أشياء حيث قال: " أيها الولد إنني أنصحك بثمانية أشياء. اقبلها مني لئلا يكون علمك خصماً عليك يوم القيامة. تعمل منها أربعة، وتدع منها أربعة، أما اللواتي تدع: (فأحدها) ألا تناظر أحداً في مسألة ما استطعت، لأن فيها آفات كثيرة. فإثمها أكبر من نفعها، إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهات وغيرها...<sup>2</sup>"، فذكر الغزالي الرياء ولم يفصل فيه وفصل فيه في كتابه الإحياء حيث خصَّ كتاب بعنوان: ذم الجاه والرياء، واحتوى هذا الكتاب على حوالي ستون صفحة، ذكر فيه الرياء في حوالي أربعين صفحة ذكر فيه حقيقته وذمه وتأثيره وبيان دواءه وطريقة علاجه وغيرها، ونحن سنكتفي بذكر هاته النقاط فقط.

فقال الغزالي في ذم الرياء: اعلم أن الرياء حرام، والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۗ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ [الماعون: 4-6] وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيَّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤُكُمُ الَّذِي هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10] قال مجاهد: هم أهل الرياء.

<sup>1</sup> الأخلاق عند الغزالي، المرجع السابق، ص 231.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، رسالة أيها الولد، تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي، ط4، دار البشائر الإسلامية، 2010م، ص 49.

وأما الأخبار: فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال: يا رسول الله، فيما النجاة؟ فقال: "أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس"<sup>1</sup>، وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة\_المقتول في سبيل الله، والمتصدق بماله، والقارئ لكتاب الله\_إن الله عز وجل يقول: لكل واحد منهم: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد، كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ. فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم لم يُثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم.

وأما الآثار: فيروى أنّ عمر بن خطاب رضي الله عنه رأى رجل يطأطئ رقبته قال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.<sup>2</sup>

أما تأثيره فقال: بأنه يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة، والرياء يُوجبُ رده.<sup>3</sup>

ثم انتقل الغزالي إلى دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه: فقال أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى، وأنه من كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجِدِّ في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق، فلا شفاء إلا بشرب الأدوية المزة البشعة فلا ينفك أحد عن هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولاً وتخف آخراً، وفي علاجه مقامان:

أحدهما: قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه: وأصله حب المنزلة والجاه. وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول: وهي لذة المُحَمَّدَة، والفرار من ألم الدم، والطمع فيما أيدي الناس.

والثاني: دفع ما يخطر منه في الحال: أو دفع العارض منه في أثناء العبادة، وذلك لا بد من تعلمه أيضاً، فإن من جاهد نفسه وقلع من قلبه مَعَارِسِ الرياء، فإن الشيطان لا يتركه في أثناء

<sup>1</sup> أخرجه مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن الأصبحي المدني، الموطأ، باب أحاديث الإحياء التي لا أصل لها للسبكي، رقم الحديث: 239، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نيهان للأعمال الخيرية والإنسانية، ج8، ص43.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1202\_1206. بتصرف.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق: محمد بخيت، (د.ط)، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د.ت)، ص105.

العبادات، فلا بد أن يتشمر لدفع من خاطر الرياء، وخواطر الرياء ثلاثة: فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم والثاني: الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم والثالث: الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه<sup>1</sup>.

فالغزالي كان يمقت الرياء، ويبغض من أعماق صدره أعمال المرئيين، فما يمقتة الغزالي أن يظهر المسلم النحول الصفار، ليدل بالتحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليالي يقول الغزالي: "ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم، وأن وقار الشرع هو الذي خفض صوته، وضعف الجوع هو الذي أضعف من قوته"<sup>2</sup>.

#### 4\_ تصحيحه للمنجزات.

#### الفقر والزهد:

الزهد أصل كبير من أصول التصوف، نتج عنه: الإعراض عن الدنيا، وهو المسلك الذي يجاهد الصوفية نفوسهم من أجله كمرحلة أولى في طريقهم، ولكن بعضهم بالغ في هذا، بل وعلى حد تعبير الغزالي: أضلهم الشيطان في الإعراض عنها.

وقد ساق لنا نموذجاً من هذا الإعراض، وبين خطأهم ثم بين لنا السلوك الصحيح في هذا الموضوع<sup>3</sup> بقوله: "... وإنما الناجي منها فرقة واحدة، وفي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو: أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يجمع الشهوات بالكلية. أما الدنيا: فيأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات: فيجمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و العقل، ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل. ولا يترك كل شيء

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص 1220\_1223. بتصرف.

<sup>2</sup> الأخلاق عند الغزالي، المرجع السابق، ص 231.

<sup>3</sup> الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد، المرجع السابق، ص 65\_66

من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا، ويحفظه على حد مقصوده.<sup>1</sup>

فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من البدن، أقبل على الله تعالى بكنهه همته، واشتغل بالذكر والفكر طوال العمر. وبقي ملازماً لسياسة الشهوات، ومراقباً لها، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى، ولا يعلم ذلك إلا بالإقتداء بالفرقة الناجية، وهم الصحابة وقد كانوا على النهج القاصد، وعلى السبيل الواضح... فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين، وما كانوا يتهربون ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين، وهو أحب الأمور إلى الله...<sup>2</sup>.

ويقول في المنقذ من الضلال: "وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله، قطع علاقة القلب عن الدنيا: بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنهه المهمة على الله تعالى. وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق".<sup>3</sup>

وقال أبو حامد في رسالته (الرسالة اللدنية): "وعليك بالزهد وقلة الرغبة في الدنيا بل أعدمها من قلبك جملة واحدة، فإن كنت لا بدّ لها طالبا فانتصر على قوتك منها من وجه حلال ولا تنافس أبنائها فإنها عرض لا يبقى زمانين ولا ينال الراغب فيها مراده أبداً، فإن آمال الراغب متسعة جدا والله تعالى يعطيه منها ما قدره له سواء رغب فيها أو رغب عنها فلا يزال مهتماً بما كثير الحزن عليها، ممقوتاً عند الله فإن طالب الدنيا الراغب فيها كشارب ماء البحر كلما ازداد عطشاً".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة، المرجع السابق، ص 136\_137.

<sup>2</sup> دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، المرجع السابق، ص 387.

<sup>3</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 174.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي، الرسالة اللدنية، (د.ط)، مطبعة كردستان العلمية، مصر، 1328هـ، ص 58.

أما الفقر، فالغزالي استدل بأحاديث نبوية كثيرة عن فضل الفقر والفقراء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ لِي حِرْفَتَيْنِ إِئْنِينِ فَمَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي الْفَقْرُ وَالْجِهَادُ"<sup>1</sup>.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام<sup>2</sup>: " تُحَفُّهُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا الْفَقْرُ"<sup>3</sup>.

و كما يشرح الغزالي أن الفقر: هو الفقد والاحتياج، ولكن الاحتياج على ضربين مطلق ومقيد، أما المطلق فهو احتياج العبد إلى موجد يوجده وإلى بقاء بعد الإيجاد وإلى هداية إلى موجه وهذا هو الفقر إلى الله تعالى، لأن الله هو موجهه ومبقيه وهاديه إليه وهذا الفقر واجب لأنه من الإيمان بالله والله، وأما الحال الذي ينشأ عن هذه المعرفة فهو شهود العبد لفقره وحاجته إلى الله تعالى على الدوام، وأما الاحتياج المقيد فهو احتياج العبد إلى الوسائل التي تقوم بها ذاته ويستعان على تحصيلها بالمال والمال هو المفقود المحتاج إليه، فالفقر المطلق يراد لذاته لتعلقه بالله تعالى والمقيد يراد لغيره وهو التبتل والانقطاع إلى الله وهما الوسيلة للغنى بالله وهو تعلق القلب به سبحانه، والغنى بالله تعالى وسيلة إلى تجريده عما سوى الله تعالى ولا يجب التجريد إلا اعتقاد تجريد القدم عن الحادث.<sup>4</sup>

ووضع الغزالي آداب للفقير إذا جاءه مال بغير سؤال فقال أنه ينبغي أن يلاحظ فيما جاءه ثلاثة أمور: نفس المال: فينبغي أن يكون حالاً خالياً من الشبهات كلها. وغرض المعطي: فلا يخلو، إما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية ولا بأس بقبولها، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة؟ أو للذكر والرياء والسمعة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله.

<sup>1</sup> أبو الحسن علي بن محمد عزاق الكناني، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، حديث رقم: 22، المرجع السابق، ص 220.

<sup>2</sup> مكاشفة القلوب، المصدر السابق، ص 110.

<sup>3</sup> أخرجه جلال الدين السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، حديث رقم: 5313، تحقيق: يوسف النبهاني، ط 1، بيروت، دارالفكر، 2003م، ج 2، ص 23.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي، فرائد الآلئ من رسائل الغزالي، تحقيق: محمد بخيت، (د.ط)، فرج الله زكي، 44هـ، ص 243\_244.

وأما غرضه في الأخذ: فينبغي أن ينظر: أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجاً إليه فالأفضل له الأخذ، وأما إذا كان مستغن عنه فلا يخلو: إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم، فإن كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه.<sup>1</sup>

وقال الغزالي بتحريم السؤال من غير ضرورة ثم بين آداب الفقير المضطر فيه فقال: اعلم أنه قد وردت مناهٍ كثيرة في السؤال وتشديدات، وورد فيه ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم: "لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ"<sup>2</sup>، فالأصل أن السؤال حرام وإنما يباح بضرورة، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن أمور ثلاثة وهي: إظهار الشكوى من الله تعالى، وأن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله، وأنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً. فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة، فاعلم أن الشيء إما يكون مضطراً إليه، أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو خفيفة، أو مستغني عنه، أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً، فسؤاله مباح. أما المستغني: فهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله، فسؤاله حرام قطعاً. وأما المحتاج حاجة مهمة: كالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن الخوف، فلا يسمى سؤاله مكروهاً مهما صدق في السؤال. وأما الحاجة الخفيفة: كمن يسأل كراء الحمل وهو قادر على الراحلة، فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام، لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المخدورات، إن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1561\_1462، بتصرف.

<sup>2</sup> أخرجه أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم: 535، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ج22، (د.ت)، ص203. وأخرجه أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب حق السائل، حديث رقم: 1665، تحقيق: محمد محي الدين الحميد، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت)، ج2، ص126.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1565\_1566. بتصرف.

## الخوف والرجاء.

فهناك من غالَ في الخوف كَهَرَمٍ من حيان<sup>1</sup> الذي قال لابن عامر<sup>2</sup>: "أتحب أنك شجرة من هذه الشجر. وقال ابن عامر لا والله. إن لنرجوا من رحمة الله ما هي أوسع من ذلك. وقال هرم بن حيان لكني والله لوددت أني شجرة من هذه الشجر، قد أكلتني هذه الراحلة، ثم قذفتني بعراً، ولم أكابد الحساب يوم القيامة، إما إلى الجنة وإما إلى النار. ويحك يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى، فمشاهد القيامة أمامه نارها وجنتها، تسيطر عليه في كل ما يفعل<sup>3</sup>. فهذا مثال لمتصوف غلب خوفه رجاءه فمن كثرة غلوه تمنى لو أنه شجرة تأكله الراحلة خوفاً من حساب الله، لكن الغزالي وقف موقف وسط حيث ساوى في الخوف والرجاء.

ويشرح الغزالي معنى الخوف فيقول: هو مطالعة صفات الألوهية وتعلقها بالتقريب والإبعاد والإسعاد والإشقاء من غير وسيلة ولا سابقة وهذا الخوف يراد لذاته ويجب اعتقاده لأنه من الإيمان بالله تعالى ينتفع بهذا الخوف من أخرجته رؤية كثرة الأعمال إلى الإدلال والأمن من مكر الله إذ لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرين<sup>4</sup>.

ثم ينتقل الغزالي لشرح الخوف المراد لغيره فيقول أنه قسمان:

إحدهما: خوف سلب النعمة وهو يحث على الأدب ورؤية المنة.

والثاني: خوف العقوبات المرتبة على الجنايات والقدر الواجب منه ما يحث على ترك المحظورات وفعل الواجبات ثم يذكر حاله وهو تألم القلب وانزعاجه بسبب توقع مكروه

<sup>1</sup> هَرَم بن حَيَّان: العبدِيّ، ويقال الأزدِيّ، البصريّ، أحد العابدين، قال ابن سعد: كان عاملاً لِعُمَرَ، وكان ثقة، له فضل وعبادة، وقيل: سُمِّيَ هَرَمًا لأنه بقي حَمَلًا سنتين حتى طلعت أسنانه. ينظر سير أعلام النبلاء، ج4، ص48.

<sup>2</sup> كان هرم بن حيان مسافراً مع زميله عبد الله بن عامر إلى الخليفة عمر، وكان والياً لعمر ثم لمعاوية فيما بعد.

<sup>3</sup> علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ج3، ص114.

<sup>4</sup> روضة الطالبين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، المصدر السابق، ص163.

أو على فائت فإن كانا محمودين كان له حكمهما في الوجوب والاستحباب وإن كان مكروهين كان لهما حكمهما في الحظر والكراهية<sup>1</sup>.

وبَيَّن الغزالي درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف، فقال: اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد: وهو غلط. بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بحما رتبة القرب من الله تعالى، والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي، ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال، والمحمود هو الاعتدال والوسط، فأما القاصر منه: فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وهذا الخوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع.

وأما المفرط: فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل. أما العجز: فهو متعرض لمخذور لا يقدر على دفعه، فإذا: هو محمود بالإضافة إلى نقص آدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به بكمال في ذاته، وإنما يصير محمودا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه، كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لأنه أهون من ألم المرض والموت.<sup>2</sup>

وأشار الغزالي في كتابه "مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب" أن المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه علامة خوف الله تظهر في سبعة أشياء: أولها: لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضل ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم. والثاني: قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان. والثالث: نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى مالا يحل له. والرابع: بطنه فلا يدخل بطنه

<sup>1</sup> روضة الطالبين وعمدة السالكين، المصدر السابق، ص155.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1505.

حراما فإنها إثم كبير. والخامس: يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدّها إلى ما فيه طاعة الله تعالى. والسادس: قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه. والسابع: طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله ويخاف من الرياء والنفاق.<sup>1</sup>

ثم بين الغزالي فضيلة الخوف ورغب فيه حيث قال اعلم: أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار.

أما الاعتبار: فسيبيله أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله في الآخرة، ولا تحصل إلا بتحصيل محبته في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا تنقَمع الشهوة بشيء كما تتمتع بنار الخوف، فالخوف هي النار المحرقة بالشهوات، فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث عن الطاعات وكيف لا يكون ذا فضيلة و به تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة التي تقرب إلى الله زلفى.<sup>2</sup>

أما الاقتباس من الآيات والأخبار: فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 18]، يعني احشوا الله، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله تعالى: "لَا أُجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَلَا ءَامِنِينَ، مَنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا ءَامِنْتُهُ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ ءَامَنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، المصدر السابق، ص5.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1508\_1509.

<sup>3</sup> أخرجه أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، البزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، بحديث نحوه، مسند أبي ذر الغفاري، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، حديث رقم: 8028، المرجع السابق، ج 14، ص 342. وأخرجه أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك، الزهد والرفائق لابن المبارك، بحديث نحوه، باب ما جاء في الخشوع والخوف، الحديث رقم: 157، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص50.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ﴾ [المائدة:44]، وقال في آية أخرى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ [آل عمران:175].

أما الرجاء فقد أضاف إليه الغزالي الرغبة لأنها من أنواعه وكذلك البسط لأنه من ثمراته. يذكر معناه بأنه هو أيضا مطالعة الصفات القديمة التي يصدر عنها كل ما ساء وسر ونفع وضر فمن عرف هذا من صفاته خافه ورجاه وهذا هو الرجاء المقصود لذاته لأنه لا يتوقع بحسنة ولا يندفع بسيئة إنما ينشأ عن فضل الله تعالى لمن سبقت له السعادة ويندفع بهذا الرجاء من أخرجته الخوف إلى القنوط، ثم شرح الرجاء المراد لغيره بأنه هو ما يحث على تكثير الطاعات فإن لم يحث على تكثير الطاعات كان تمنيا لأن حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب وانشراحه لانتظار محبوب تقدمت أسبابه.<sup>1</sup>

ووضح الغزالي فضيلة الرجاء ورغب فيه في كتابه الإحياء حيث قال: اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب الرجاء، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت: قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

عَلَيْهِ﴾ [الزمر:53]. فحرم أصل اليأس، وفي أخبار يعقوب عليه السلام: أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، لم خُفْتَ الذئب ولم تَرَجِني؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوانك ولم تنظر إلى حِفظي له.<sup>2</sup> وقال صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> روضة الطالبين وعمدة السالكين، المصدر السابق، ص156.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1491.

<sup>3</sup> أخرجه أبو عبد الله حمد بن حنبل بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث رقم: 1679، مرجع سابق، ج28، ص186. وأخرجه ابن المبارك، الزهد و الرقائق لابن المبارك، باب ذكر رحمة الله تعالى وتبارك، حديث رقم: 909، المرجع السابق، ص318.

ثم بعد أن انتهى الغزالي من شرح كل من الخوف والرجاء ذكر أيهما الأفضل غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتداهما حيث قال: أن هذا السؤال فاسد يضاھي قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، وإن استويا فهما متساويان. والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاعتزاز به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلاح لا لفظ الأفضل فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي. فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاءه<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: تصويباته في الجانب العرفاني:

#### 1\_ العلم :

لقد نبه الغزالي على ضرورة العلم الشرعي، لسالك طريق الآخرة، خلافاً لما كان شائعاً بين الكثير من الصوفية، أن العلم حجاب<sup>2</sup>، وقد جعل أول كتاب من كتب الإحياء الأربعين (كتاب العلم)، وأول عقبة يجب أن يجتازها (العابد) هي العلم كما في (منهاج العابدين) وأكد في مواضع لا تحصر: أن السعادة لا تنال إلا بالعلم والعمل.

يقول الغزالي في المنقذ من الضلال: "ثم إني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بھمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس. والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتخليته بذكر الله، وكان العلم أيسر عليّ من العمل. فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: (قوت القلوب) لأبي طالب المكي (رحمه الله) وكتب (الحارث

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص1513.

<sup>2</sup> فممن يقول بأن العلم حجاب أبي الحسن الشاذلي حيث يقول: "علوم النَّظَرِ أَوْهَامٌ؛ إِذَا قُرِنَتْ بِعِلْمِ الْإِهْتِمَامِ"، ينظر المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، ص212.

المحاسبي ) ، والمتفرقات المأثورة عن (الجنيد) و( الشبلي ) و( أبي يزيد البسطامي ) [ قدس الله أرواحهم ] ، وغيرهم من المشايخ ؛ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع. فظهر لي أن أحص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات"<sup>1</sup>.

وقال في رسالة (أيها الولد): إن العلم بدون عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.<sup>2</sup>

والإحياء هو الكتاب الذي وضعه لسالكي الطريق. إذن فهو ينكر كل الإنكار أن تكون المجاهدة و رياضات النفس قبل العلم. ويرى الغزالي أن نظرة العالم أدق وأصوب من نظرة الصوفي. ولذلك قال:...ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف<sup>3</sup>.

كما قال الغزالي في رسالة أيها الولد : ما لم تعمل لم تجد الأجر، حكى أن رجلاً من بني إسرائيل عبّد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله إليه ملكاً يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة، فلما بلغه قال العابد: " نحن خُلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبد"، فلما رجع الملك قال: "إلهي أنت أعلم بما قال"، فقال الله تعالى: " إذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه، اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له"<sup>4</sup>.

قال أيضاً في نصيحته لتلميذه في رسالة أيها الولد: " أيها الولد، لا تكن من الأعمال مفلساً، ولا من الأحوال خالياً، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد . مثاله لو كان رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى، وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب، فحمل عليه أسد عظيم مهيب، فما ظنك؟ هل تدفع الأسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها؟ فكذلك لو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 172.

<sup>2</sup> أيها الولد، المصدر السابق، ص 108.

<sup>3</sup> دولة السلاحة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، المرجع السابق، ص 385\_386.

<sup>4</sup> رسالة أيها الولد من ضمن مجموعة الرسائل الإمام الغزالي، المصدر السابق، ص 277.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 11] <sup>1</sup>.

وكم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب، وحرمت على نفسك النوم؛ لا أعلم ما كان الباعث فيه؟ إن كانت نيتك نيل عرض الدنيا، وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران والأمثال فويل لك ثم ويل لك. وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمانة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك". ولقد صدق من قال شعراً:

سَهْرُ الْعُيُونِ لِعَيْرٍ وَجْهَكَ ضَائِعٌ  
وَبُكَائُهُنَّ لِعَيْرٍ فَقَدِكَ بَاطِلٌ <sup>2</sup>.

## 2\_ الكشف.

لما كان الكشف عند الصوفية أرقى مناهج المعرفة، وطريقاً موصلة إلى اليقين. عندهم—  
أدأهم اعتقادهم بذلك، إلى نبد العلوم الاستدلالية جميعها، وعلوم الكتاب والسنة خاصة  
فزهّدوا فيهما، ورغبوا الناس عنهما.

فمن الأمثلة: ما نقله الغزالي عن الجنيد أنه قال: "أحب للمريد المبتدئ أن لا يشغل قلبه  
بثلاث: التكبُّب، وطلب الحديث، والتزوّج، وأحب للصوفي ألا يكتب ولا يقرأ؛ لأنه أجمع  
لهمه." وقال: "إذا لقيت الفقير، فألقه بالرفق، ولا تُلقه بالعلم؛ فإن الرفق يُؤنسُهُ، والعلم  
يُوحشه"، وقال الداريني: "إذا طلب الرجل الحديث، أو تزوج، أو سافر في طلب المعاش فقد  
رَكَنَ إلى الدنيا".

<sup>1</sup> محمد جمال إمام، منازل الهدى مختارات من تراث حجة الإسلام الغزالي، (د.ط)، ج 1، 2014م، ص 34.

<sup>2</sup> رسالة أيها الولد، المصدر السابق، ص 105\_106.

ويكاد أن يكون التنفير والتحذير من العلوم الشرعية، متفقاً عليه بينهم، وأيضاً فإن الصوفية لم تقنع ولم تقطع إلا بعلوم الكشف والإلهام والذوق؛ والشواهد عليه من أقوالهم ووصاياهم، المنظومة والمنثورة كثيرة منها:

قول داود الكبير بن ماخلا<sup>1</sup>: "لا تقنع قط بسمعتُ ورويتُ، بل شهدتُ ورأيتُ".

وقال فريد الدين العطار: "ذهبنا وراء عالم العقل والفهم، العقل لا يجدي عليك، إنما يأتي إليك: إنما يأتي به غربال من بئر، إنما يحاول العقل أن يدرك في هذا العالم؛ ولكن هذا العقل الذي يفقد نفسه بجرعة من الخمر، لا يقوى على المعرفة الإلهية، العقل أجبن من أن يرفع الحجب، ويسير قدماً إلى الحبيب"<sup>2</sup>.

فهذا كان غلو بعض المتصوفة في الكشف حيث أنهم نبذوا العلوم الاستدلالية ونفروا في طلب العلم، وسنعرض تصحيح الغزالي للكشف حيث أنه عرفه بأنه نور يقذفه الله بالقلب ولكن هذا النور يحتاج إلى توضيح وتحديد، لأن تفسير الكشف بالنور، والنور بالكشف أشبه بتفسير الماء بالماء.<sup>3</sup>

ومن الأدلة التي أوردها الغزالي على الإلهام والكشف قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]. فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

<sup>1</sup> داود الكبير الماخلا: من شيوخ محمد وفا الشاذلي، وكان شريطياً في بلبس الوالي بالإسكندرية، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. ينظر: الطبقات الكبرى، ج 1، ص 331\_330.

<sup>2</sup> المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، المرجع السابق، ص 211\_213. بتصرف.

<sup>3</sup> محمد جواد مغنية، مصادر المعرفة وحقيقة الكشف عند الإمام الغزالي، مقال ضمن أعمال مؤتمر أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده، 1961، دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ص 517.

[الطلاق:2] من الإشكالات والشبه. ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:3] يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة. وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:29] قيل: نور يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات. وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدِّثِينَ وَمُعَلِّمِينَ وَمُكَلِّمِينَ وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ"<sup>1</sup>، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:52] ولا محدث يعني الصديقين، والمحدث هو الملهم، والملهم: هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة. فالقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك من غير تعلم. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيِّتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:6] خصصها بهم وقال أيضا: قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:138]<sup>2</sup>.

وسرد الغزالي الأدلة لإمكانية الكشف، أمران يعتبرهما أدلة قاطعة لا يمكن لأحد إنكارها: عجائب الرؤيا الصادقة، فإنه ينكشف بها الغيب. وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة. فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس، وعدم اشتغالها بالمحسوسات. فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه. وإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غيب الأمور في المستقبل، وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره. إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور. واشتغل بإصلاح الخلق. فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بحقائق الأمور ولا يشتغل بإصلاح الخلق. وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى ولياً. فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، الصحيح، بحديث نحوه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3496، مرجع سابق، ج4، ص174.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص900\_901.

أن يُقر بالبصيرة. أو بتعبير آخر أن يقر بباب للقلب يفتح على عالم الملكوت، هو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي<sup>1</sup>.

ثم ذكر رحمه الله أنواع الكشف فيما أن يكون وحياً وهو ما تختص به الأنبياء، وإما إلهاماً وهو ما تختص به الأولياء، فالكشف إما أن يحصل في القلب ويهجم عليه كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى: إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً<sup>2</sup>.

ثم انتقل الغزالي إلى شروط المكاشفة وبينها فذكر أنها هي أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك بالمجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ومباشرة الأعمال الظاهرة الباطنة والجلوس مع الله عزّ وجلّ في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عمّا سواه فذلك هو منبع الإلهام والكشف، ثم يذكر الغزالي شرطاً آخر وهو: اليقين، ثم: التصفية والتطهير بالكف عن الشهوات والافتداء بالأنبياء<sup>3</sup>.

وذكر رحمه الله بأن القلب يصل إلى الكشف والإلهام بالرياضة والمجاهدة، حيث يقول في كيمياء السعادة: "ولا تظن أن هذه الطاقة تفتح بالنوم والموت فقط، بل تفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة، وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة.

فإذا جلس في مكان خال، وعطل طريق الحواس، وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت، وقال دائماً: (الله - الله - الله) بقلبه، دون لسانه، إلى أن يصير لا خير معه من نفسه، ولا من العالم، ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، ص 900، نقلاً عن التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، المرجع السابق، ص 556\_557.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، ص 25، نقلاً عن مهدي محمد، مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة د.الطاهر مولاي، سعيدة، 2016/2015، ص 81.

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين، ص 309، نقلاً عن مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي، المرجع السابق، ص 81.

تلك الطاقة، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم؛ فتظهر له أرواح الملائكة، والأنبياء والصور الحسنة الجمالية، وانكشف له ملكوت السماوات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغْرِبَهَا"<sup>1</sup>، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:75]. لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق، لا من طريق الحواس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:8] معناه: الانقطاع عن كل شيء، وتطهير القلب من كل شيء، والابتغال إليه سبحانه وتعالى بالكلية<sup>2</sup>.

ويذكر الغزالي موانع الكشف فيقول: أولها البدعة: المحدثه في الدين، وثانيها: الكبر: فالمتكبر لا ينال العلم، وهما من الشبه في الدين، ثم يذكر رحمه الله أن حب الدنيا والإصرار على الهوى تمنع حصوله وهما من الشهوات في الدنيا، فمن انغمس فيهم لم يذق طعم الكشف<sup>3</sup>.

والكشف يرتبط برؤية الغزالي النورانية في مشكاة الأنوار والرسالة اللدنية والإحياء، (حيث شبه القلب في الإحياء بحوض تصب فيه المعرفة، من نوافذ خارجية عن طريق الحس والعقل أو تنبع حفرًا من أعماق الحوض، إشارة إلى الباطن أو إلى الروح التي تستمد معرفتها مباشرة من الأنوار الإلهية، فتنبثق المعرفة انبثاقًا من أعماق الروح على صورة الاستبطان الذاتي أو الاستبصار الداخلي الجوّاني. وهنا تحدث التكاملية بين المعرفة الإلهامية النورانية، لأن كليهما

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، الصحيح، بحديث نحوه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم:2889، مرجع سابق، ج4، ص2215.

<sup>2</sup> كيمياء السعادة، أبو حامد الغزالي، (د.ط)، (د.ت)، ص8.

<sup>3</sup> مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي، المرجع السابق ص72.

معرفة بعمومية الاسم بينهما، لأنهما يخضعان معاً لنورانية واحدة، وهي نورانية نور الأنوار<sup>1</sup>. هذا هو الكشف الذي أراده الغزالي، إنه علم القلب الصادق، وحده الصائب، ويقظة الذات هي الأمينة، وشهادتها العادلة، وبهذا، بحكاية القلب للواقع حكاية المرآة للوجه كانت الذات هي الواقع، وكان الواقع هو الذات، لا فرق بين اكتشافها ما وراء الطبيعة بنور الإخلاص والإيمان، وبين معرفتها بأشياء الطبيعة بالتجربة والعيان، كلاهما عين اليقين. وليس لرجل العلم أن يتنكر لهذا الكشف، ويرفضه بقول مطلق مادام العلم نفسه لا يقر شيئاً من الأحكام النهائية المطلقة.<sup>2</sup>

فالغزالي ورغم قوله بالكشف والإلهام كمصادر للمعرفة، إلا أنه يحذر من الغلو في طلبهما أو الاكتفاء بهما كمصدرين للمعرفة وإلغاء المصادر الحسية والعقل وهو يرفض ترك طلب العلم بالاستدلال.

### 3\_ محبة الله:

لقد غال بعض المتصوفة في المحبة الإلهية كبردة الصريمية، فكانت تكثر من البكاء حتى ضعف بصرها، فكلمها بعض العباد في هذا، وقد خافوا أن يذهب بصرها بالكلية. قالت: "دعوني فإن أكن من أهل النار، فأبعدني الله وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسبيدني الله عيني خيراً من عيني"<sup>3</sup> هذا مثال عن غلو بعض المتصوفة في المحبة، بينما يرى الغزالي غير ذلك، فقد اعتبر المحبة مقاماً وليس حالاً حيث قال: "فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات"، واعتبر الغزالي المحبة فرض سواء محبة الله أو محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup> التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، المرجع السابق، ص563.

<sup>2</sup> محمد جواد مغنية، مصدر المعرفة عند الإمام الغزالي، مقال ضمن مؤتمر أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده، المرجع السابق، ص519.

<sup>3</sup> نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، المرجع السابق، ص177.

وقد استدل بأدلة من الكتاب والسنة<sup>1</sup>، من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [آل عمران: 31]، فسبب نزول الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب من الأشراف وأصحابه إلى الإسلام قالوا نحن في المنزلة أبناء الله ونحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: 31] على ديني فإني رسول الله أودى رسالته إليكم وحجته عليكم قال تعالى: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]<sup>2</sup>.

لقد تكلم الغزالي على محبة الله وبين أن المستحق للمحبة هو الله وحده فقال: وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه أثر عن حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء، لأن محبوب المحبوب محبوب، ورسول المحبوب محبوب، ومحب المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب عند ذوي البصائر إلا الله تعالى، ولا مستحق للمحبة سواه.<sup>3</sup>

ويذكر رحمه الله علامات محبة العبد لله فيقول: أن أول هذه العلامات هي حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، وثاني علامة هي: أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم مشاق العمل، ويجتنب إتباع الهوى، ويعرض عن دعة الكسل. ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى، لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره، وذكر ما يتعلق به. ومنها أيضا: أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد ويغتنم هده الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق. ومنها: أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل، ويعظم

<sup>1</sup> طبال هدير، المحبة في الفكر الصوفي حقيقتها وأبعادها التربوية أبو حامد الغزالي نموذجاً، مذكرة تكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، معهد العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2018م، ص 82.

<sup>2</sup> مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، المصدر السابق، ص 24\_25.

<sup>3</sup> سعيد حوى، المستخلص في تركية الأنفس، ط 11، القاهرة، دار السلام، 2005م، ص 281.

تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته. ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم: كابدت الليل عشرين سنة، ثم تنعست به عشرين سنة. ومن العلامات أيضاً: أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم، شديداً على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29]. ومنها أيضاً: أن يكون حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم. وآخر علامة من علامات الحب هي: كتمان الحب واجتناب الدعوى، والتوقي من إظهار الوجد والمحبة، تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له وهيبة منه وغيره على سره، فإن الحب سر من أسرار الحبيب<sup>1</sup>.

وأسمى ألوان المعرفة عند الغزالي كما جاء في الإحياء، (يتضح في حب الله من داخل القلب، وفي الإعراض عن مشاغل الدنيا والالتفات إلى ذاته وحده لا إلى شيء غيره، يقول الغزالي: "أصل الحب لا ينفك عنه مؤمن، لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة. ومن دخل الإخلاص قلبه فإن الله يكون محبوب قلبه، ومعبود قلبه، ومقصود قلبه". ويرى الغزالي تدرجاً في المعرفة من حيث سيطرتها على القلب، ومن حيث تأثيرها الحقيقي في الروح. ويقول إن مراتبها العلمية والعملية، لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة. إذ أخذ الإنسان نفسه بالرياضة الروحية العسيرة، فإنه سيحصل على المعرفة. إن المعرفة تتبع المحبة بالضرورة. كما أن المحبة تتبع المعرفة بالضرورة. وإذا كان الغزالي يرى مقامات التوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء، هي مقدمات لاكتساب الجانب الإيجابي في المعرفة، فإنه يشترط في استدامت المحبة والمعرفة، وجود الفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب، والنظر المستمر في الله تعالى، وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وسائر مخلوقاته، فالحصول على المعرفة والمحبة عسير إلى حد كبير. والحفاظ عليهما أشد عسراً وأصعب منالاً. لأنه يتطلب من المجهود الروحي والبذل الذوقى

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 1694\_1703. بتصرف.

والصفاء الوجداني القدر الكبير، فالمعرفة والمحبة يمتازان إذن بجانبين نفسيين يسموان بالفرد، إذا استطاع أن يصل إليهما ويحققهما في أمانة وإخلاص، إلى أبعد درجات الرقي<sup>1</sup>.

وذكر الغزالي الأسباب المقوية للمحبة فقال: اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقاءه، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه، وتمكن من دوام المشاهدة، فالعبد يكتسب حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة، وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى العشق، ويحصل ذلك بسببين: إحداهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب. والثاني: لقوة المحبة. قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب.<sup>2</sup>

ثم أورد رحمه الله أسباب المحبة وهي خمسة أسباب، وبين أن هذه الأسباب تقتضي محبة الله وحده، وهي كالاتي:

**السبب الأول:** حب المحبوب لنفسه وذاته فالإنسان بطبعه يحب الحياة ويغض الموت.

**السبب الثاني:** الإحسان، فالقلوب مجبولة على من أحسن إليها.

**السبب الثالث:** أن نحب الشيء لذاته، ويرى الغزالي أن هذا الحب هو الحب الحقيقي.

**السبب الرابع:** حب المحسن لذاته، وإن لم يصل إحسانه عامة الناس، كحبنا للأنبياء.

**السبب الخامس:** المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، المرجع السابق، ص542.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1681.

<sup>3</sup> المحبة في الفكر الصوفي حقيقتها وأبعادها التربوية أبو حامد الغزالي أمودجا، المرجع السابق، ص 82\_83.

4.2\_ الفناء:

ذكر الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" أخطاء المتصوفة في الفناء فقال: "...ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها، إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح، لا يمكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة: ينتهي الأمر إلى قرب، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول.

وطائفة الإتحاد.

وطائفة الوصول.

وكل ذلك خطأ.<sup>1</sup>

وقد استبعد رحمه الله أن تكون حالة الصوفي الفاني بهذا النوع من الفناء حال الإتحاد أو الحلول أو الوصول كما قد يعبر عنها البعض، وقد نبه الإمام الغزالي على هذه الأمور التي زلت بسببها أقدام كثير من الناس وأورثت الخلط والخبط.<sup>2</sup>

فيقول الغزالي في كتابه الأربعين في أصول الدين: "واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال، ولكن له أيضاً قشورٌ ثلاثة، بعضها أقرب إلى اللبّ من بعض، وله لبّ وراء القشور الثلاثة. وإنما فضّل القشور لكونها طريقاً إليه".

فالقشر الأعلى منه، ذكر اللسان فقط.

**والثاني:** ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبة حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك وطبعه لا يسترسل في أودية الأفكار.

<sup>1</sup> المنقذ من الضلال، المصدر السابق، ص 178.

<sup>2</sup> عبد الله إبراهيم صلاح الدين، "الفناء الصوفي عند الإمام الغزالي" مفهومه وآدابه، "دراسات إسلامية مجلة علمية سنوية محكمة، العدد الرابع، 2012م، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية، ص 354.

والثالث: أن يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه، بحيث يحتاج إلى تكلفٍ في صَرْفِهِ إلى غيره. كما احتيج في الثاني إلى تكلف في قراره معه ودوامه عليه<sup>1</sup>.

**والرابع:** وهو اللُّباب أن يستمكن المذكور من القلب، وينمحي الذكر ويخفى، وهو اللُّباب المطلوب. وذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر ولا إلى القلب. بل يستغرق المذكور جملته، ومهما ظهر له في أثناء ذلك التفات إلى الذكر، فذلك حجاب شاغل، وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء، وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه، ولا من الأشياء الخارجة عنه، ولا من العوارض الباطنة فيه. بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهباً إلى ربه أولاً، ثم ذاهباً فيه آخراً.

وإن خطر له في أثناء ذلك أنه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكُدُورَة. بل الكمال في أن يفنى عن نفسه، ويفنى عن الفناء أيضاً، فإن الفناء عن الفناء غاية الفناء<sup>2</sup>.

وقد تكلم الغزالي عن الفناء في التوحيد حيث قال مجدي محمد إبراهيم في كتابه التصوف السني حال الفناء بين الجنيد و الغزالي: وقد بسط الغزالي عقيدة التنزيه المطلق وإثبات التوحيد التفريد في كثير من كتبه منها (قواعد العقائد في التوحيد) وفي (بغية المرید في رسائل التوحيد) وقال في الإحياء عند تقسيم مراتب التوحيد، إن أعلى رتبة في توحيد الموحدين هي " أن لا يرى في الوجود إلا واحداً "؛ وهذه الرتبة هي الغاية القصوى في التوحيد في معرفة الله تعالى فالموحد لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد<sup>3</sup>.

وهو عين الفناء في التوحيد. وعين المعرفة أيضاً، لأن الموحّد العارف في هذه الحالة تسلب منه ذاته فلا يرى في الوجود إلا الله.

<sup>1</sup> الأربعين في أصول الدين، المصدر السابق، ص 66.

<sup>2</sup> الأربعين في أصول الدين المصدر نفسه، ص 67.

<sup>3</sup> التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، المرجع السابق، ص 625.

وقد سئل أحد العارفين عن المعرفة فقال: تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه، فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة، الحي الدائم الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، بلا كيف ولا شبه ولا مثل، بنفي الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب<sup>1</sup>.

### الخلاصة:

وبهذا الإقناع وبهذه الحجج التي ذكرها لنا الغزالي استطاع أن يبين لنا الطريق الصحيحة في الممارسات الصوفية التي كان بعضها منحرف بسبب غلو بعض المتصوفة وتفريط الآخرين منهم، فمنهم من غال وأسرف حتى قال برفع التكاليف، ومنهم من فرط وأهمل وقصّر.

ونتيجة لهذا الطرح الخاطئ ومع مرور الزمن حصلت تراكمات في مختلف الذهنيات واستصحبتها الأجيال وتوارثتها وشكلت صورة قائمة يصعب فك طلاسيها إلا بالعودة إلى أصول التصوف، وقراءتها قراءة صحيحة على ضوء الكتاب والسنة وهو ما فعله الغزالي فتصوف الغزالي تصوف سني ومسلك هذا التصوف هو الالتزام بالكتاب والسنة "علماً وعملاً". فقد وضح لنا رحمه الله أن إدراك طريق المتصوفة لا وصول إليه بالتعلم فقط وإنما لابد من الذوق و خوض التجربة ومعاناتها معاناة حقيقية، وهذا الطريق يبدأ بالمجاهدة (أي مجاهدة النفس). فالغزالي قد وضع قواعد السلوك على السالك أن يلتزمها ويسير عليها، فعلى السالك أن يلتزم الخلوة والصمت، وعليه أن يلتزم الجوع بالقدر الذي يهذب به شهواته ويدرب بدنه على تحقير الملذات والشهوات، وغيرها من القواعد؛ فهذه القواعد يأتي صفاء القلب فيصبح كالمرآة يلوح فيه جمال الحق، ويصبح القلب صالحاً للمشاهدة والمكاشفة. فما يشاهده القلب من معارف بالمكاشفة (الكشف) فهي يقينية، وحتى لا يختلط كشف الصوفية بوحي الأنبياء فإن الغزالي فرق بينهما وبين أن معرفة أولياء الله تتم بلا واسطة من حضرة الحق، وهي إلهام لا يدري الصوفي كيف حصل له، وأما ما يحصل للنبي من معرفة يدري سببها ومصدرها وهي من المَلَك الذي نُزِّلَ له وَكَلَا العلمين \_علم الولي وعلم النبي\_ من الله تعالى وموضوع المعرفة الصوفية عنده رحمه الله هو ذات الله، وصفاته وأفعاله، وثمرة هذه المعرفة حب

<sup>1</sup> التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، المرجع السابق، ص 625.

الله، والفناء في توحيده. وخلاصة القول أن التصوف الصحيح عنده هو عبادة وسلوك وإتباع للكتاب والسنة نهجاً وسلوكاً وعملاً عند ذلك تظهر الثمرة، ألا وهي نور في القلب يهدي أعماله، ويحكم تصرفاته، وهذا النور يأتي نتيجة إتباع الكتاب والسنة ومجاهدة النفس، هذا النور هو الإيمان والتقوى.

خَاتَمَةٌ

### خاتمة.

لقد عملنا جاهدين لعرض جهود الغزالي رحمه الله في تصحيح بعض الممارسات الصوفية وعرضها بأسلوب يسهل الطريق أمام كل طالب علم لأخذ تصوّر عام على حقيقة التصوف وممارساته التي تستمد مصادرها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومما سبق يمكن الخروج بالنتائج التالية:

#### أولاً: النتائج:

- لقد خصص الغزالي كتابه "إحياء علوم الدين" ليؤسّس للتصوف الذي آمن به واعتبره الوسيلة المنجية من الفتن، والطريق إلى التوحيد وتصفية النفس من أمراض القلوب.
- لقد عمل الغزالي على التوفيق بين التصوف والشريعة الإسلامية، وذلك على أساس أن التصوف تحقيق للشريعة لدى المسلم تصديقاً وعملاً.
- إن كتاب "إحياء علوم الدين" من أعظم مؤلفات الغزالي، فالإحياء كتاب ضخم وعظيم، فالذي يقرأه سوف يقوم برحلة عجيبة من خلالها يعرف كل شيء عن دينه يعرف كيف يهذب نفسه، يعرف كيف تكون علاقة الإنسان وخالقه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، يعرف الحدود التي رسمها له دينه ليكون إنسان متكاملًا متوافقًا مع نفسه. مع ذاته، والإنسان المتوافق مع ربه ومع نفسه ومع الناس لابد أن يشعر بالسعادة والرضا، ولا بد أن يشعر بالاستقرار النفسي.
- لقد صحح الإمام الغزالي التصوف من جانبيين، أحدهما سلوكي والآخر عرفاني.
- من تصويبات الغزالي في الجانب السلوكي: العلم، الصلاة، الفقر والزهد وآفات اللسان وغيرهم.

● لقد اعتبر الغزالي الخوف والرجاء من الأعمال التي تقرب العبد إلى ربه، وذكر في كتابه الإحياء أيهما الأفضل، وقال بأن كليهما دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاعتزاز به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي. فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاءه.

● إن الكشف عند الغزالي هو نور يقذفه الله في القلب، وهذا النور إما أن يكون إلهاماً وهو النور الذي يقذف في قلب الولي وإما وحيماً وهو النور الذي يقذف في قلب الأنبياء، فالكشف إما أن يحصل في القلب ويهجم عليه كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى: إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً.

● إن الفناء عند الغزالي هو أن يفنى الإنسان عن نفسه وعن الأشياء الخارجة عنه ويغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهباً إلى ربه أولاً ثم ذاهباً فيه آخراً والفناء عن الفناء غاية الفناء.

ثانياً: التوصيات.

1\_ نوصي الباحثين وطلاب العلم بإعداد دراسة تفصيلية تتناول شرح مقامات أو الأحوال عند الصوفية، إذ الدراسات قليلة في هذا الباب.

2\_ فتح فرع متخصص في الدراسات الصوفية في الجامعات الجزائرية.

وفي ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نستأنس بما جاء على لسان عماد الدين الأصفهاني الذي قال : " رأيت أنه لا يكتب كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

## الفهارس العامة:

وتحتوي على:

1\_ فهرس الآيات القرآنية القرآنية.

2\_ فهرس الأحاديث النبوية.

3\_ فهرس الأعلام المترجم لهم.

4\_ فهرس الأبيات الشعرية.

5\_ قائمة المصادر والمراجع.

6\_ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْتُكُمْ﴾ البقرة	152	60
﴿وَمَنْ عَادَ فَأَوْذَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة	275	62
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة	278	62
﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ آل عمران	31	87
﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ آل عمران	31	87
﴿يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران	31	87
﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران	138	83
﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران	175	78

38	191	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ﴾ آل عمران
56	43	﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء
60	103	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ النساء
78	44	﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ المائة
31	87	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرُّوا طَيْبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المائة
85	75	﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأنعام
50	76	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ الْكُوفَةَ﴾ الأنعام
56	205	﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْعَافِلِينَ﴾ الأعراف

83	6	﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ يونس
59	28	﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد
81	11	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ءَ أَحَدًا ﴿١١﴾﴾ الكهف
60	02	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢﴾﴾ الأنفال
83	29	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴿٢٩﴾﴾ الأنفال
39	2_1	﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾ طه
56	14	﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ طه
38	130	﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَايِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافِ

		النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣﴾ طه
83	52	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الحج
61	51	﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمن
59	45	﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت
38	64	﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ العنكبوت
82	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت
78	53	﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الزمر
88	29	﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ الفتح
38	13	﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

		حَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات
77	18	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الحشر
82	2	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الطلاق
83	3	﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق
69	10	﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فاطر
85	8	﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المزمل
56	19	﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ العلق
69	6_4	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ﴾ الماعون

فهرس الأحاديث النبوية.

الصفحة.	الحديث.
29	"بِهِمْ يُمَطَّرُونَ، وَبِهِمْ يُرْزَقُونَ، وَمِنْهُمْ كَانَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ".
52	"دَعَّ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ".
53	"لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حِذْرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ".
54	"مَا أَعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً خَيْرًا مِنْ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ فِي رَكَعَتَيْنِ يُصَلِّيَهُمَا".
55	"لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ إِلَّا مَا عَقَلَ".
55	"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً".
56	"إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ سُدْسُهَا وَلَا عُشْرُهَا وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا".
57	"كَمْ مِنْ صَائِمٍ.. لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ".
60	"مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ".
60_61	"مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَعْفُورٌ لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ".
61	"أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".

61	"مَنْ سَبَّحَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَنَمَ الْمِائَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ".
62	"مَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حِلِّهِ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَالًا لَاقَى فِي عَقَابِ كَانٍ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ".
70	"أَنْ لَا يَعْمَلَ الْعَبْدُ بَطَاعَةَ اللَّهِ يَرِيدُ بِهَا النَّاسَ".
73	"إِنَّ لِي حِرْفَتَيْنِ إِتْنَيْنِ فَمَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي الْفَقْرُ وَالْجِهَادُ".
73	"تُحَقِّقُ الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا الْفَقْرَ".
74	"لِلْسَائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ".
77	"لَا أُجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلَا أَمْنَيْنِ، مَنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمِنْتُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".
78	"يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ".
83	"إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدِّثِينَ وَمُعَلِّمِينَ وَمُكَلِّمِينَ وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ".
85	"زُوِيْتُ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغْرِبَهَا".

فهرس الأعلام المترجم لهم:

الاسم .	الصفحة.
معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ(ت200هـ).	27
أبو بكر محمد بن علي الكتاني(ت322هـ).	28
رويم بن أحمد البغداددي(ت303هـ).	28
أبو الحسن، بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني(ت471هـ).	28
هرم بن حيان.	75
داود الكبير الماخلا.	82

فهرس الأبيات الشعرية.

الصفحة.	البيت الشعري.
26	تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوفِي وَاخْتَلَفُوا وَلَسْتُ أَمْنَحُ هَذَا الْاسْمَ غَيْرَ فَنِّي جَهْلًا وَظَنُّهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ. صَافِي فَصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي.
35	مُرِجَتْ رُوحَكَ فِي رُوحِي كَمَا فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي تُمْرُجُ الْحَمْرَةَ بِالْمَاءِ الزُّلَالَا. فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالِ.
81	سَهَرُ الْعُيُونِ لِعَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَبُكَاءُهُنَّ لِعَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلٌ.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أ- قائمة المصادر:

##### • القرآن الكريم :

• برواية ورش عن نافع (المصحف الإلكتروني).

##### • السنة النبوية:

1 ( أبو الحسن علي بن محمد عزّاق الكناني، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، حديث رقم:22، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف \_ عبد الله بن محمد الغماري، (د.ط)، (د.ت)، ج 2.

2) أبو بكر أحمد بن عبّيد الله العتكي، البزار، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله \_ عادل بن سعد وآخرون، ط1، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم،(د.ت)، ج 13.

3) أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، كتاب السير، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج9.

4) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب الأدب، تحقيق: محمد محي الدين الحميد، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت)، ج4.

5) أبو عبد الرحمن بن علي الخراساني، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة عونك يارب على ما بقى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج9.

6) أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن أشد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط \_عادل مرشد وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج15.

## قائمة المصادر والمراجع

- 7) أبو قاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد\_ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (د.ط)، القاهرة، دار الحرمين، (د.ت)، ج1، ص298.
- 8) أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الدرامي، كتاب الرقاق، تحقيق: حسين سليم أسد الدراني، ط1، المملكة العربية السعودية، دار المغني، 2000م، ج3.
- 9) ابن المبارك، الزهد و الرقائق لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي،(د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- 10) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الصلاة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.
- 11) ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي،(د.ط)، دار إحياء الكتب العربية،(د.ت)، ج2.
- 12) جلال الدين السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق: يوسف النبهاني، ط1، بيروت، دارالفكر، 2003م، ج2.
- 13) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، بحديث نحوه، حديث رقم:7656، تحقيق: عبد المجيد السلفي، ط2، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، 1983 م، ج8.
- 14) مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن الأصبحي المدني، الموطأ، رقم الحديث: 239، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نيهان للأعمال الخيرية والإنسانية، ج8.
- 15) مسلم بن حجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصلاة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج1.

## قائمة المصادر والمراجع

16) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب البيوع، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج3.

17) محمد بن عيسى الضحاك، الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، ط2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1975 م، ج4.

### • المصادر:

1) أبو حامد الغزالي، أيها الولد، تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي، ط4، دار البشائر الإسلامية، 2010م.

2) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، 2005م.

3) أبو حامد الغزالي، الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق، ، تحقيق: عبد الله عبد الحميد عرواني، ط1، دمشق، دار القلم، سنة 2003م.

4) أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: إنصاف رمضان، ط1، بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.

5) أبو حامد الغزالي، الحلال والحرام، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، 1987م.

6) أبو حامد الغزالي، الرسالة اللدنية، (د.ط)، مطبعة كردستان العلمية، مصر، 1328هـ.

7) أبو حامد الغزالي، الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين أصناف المغرورين، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، (د.ط)، القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت).

8) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط5، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

9) أبو حامد الغزالي، الوجيز في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود، ط1، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ج1، 1997م.

10) أبو حامد الغزالي، بداية الهداية، ط1، دار المنهاج، 2004م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 11) أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق: محمد بخت، (د.ط)، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د.ت).
- 12) أبو حامد الغزالي، فرائد الآلئ من رسائل الغزالي، تحقيق: محمد بخت، (د.ط)، فرح الله زكي، 44هـ.
- 13) أبو حامد الغزالي، مجموعة الرسائل الإمام الغزالي، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، (د.ط)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- 14) أبو حامد الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق: أبو عبد الرحمان صلاح محمد محمد عويضة، (د.ط)، (د.ت).
- 15) أبو حامد الغزالي، منهاج العارفين، (د.ط)، بغداد، مطبعة المعارف، سنة 1968م.
- 16) أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، مصر، ط1، دار المعارف، 1964م.

### ب- قائمة المراجع:

#### الكتب العربية:

- 1) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ط3، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م.
- 2) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، 2001م.
- 3) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (د.ط)، القاهرة، مطبعة التوفيق، 1347 هـ.
- 4) أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.ت).

## قائمة المصادر والمراجع

- 5) أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، القاهرة، دار الغواص، 1994م.
- 6) أبو عبد الرحمن علي المرتضى بن السيد أحمد الوصيفي، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، (د.ط)، الإسكندرية، دار الإيمان، (د.ت).
- 7) أبو علاء العفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، (د.ط)، بيروت، دار الشعب، (د.ت).
- 8) أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحلیم محمود و طه عبد الباقي سرور، (د.ط)، مصر، دار الكتب الحديثة، 1960م.
- 9) أحمد بن أحمد البرنسي المغربي، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، تحقيق: محمود البيروتي، ط1، دمشق، دار البيروتي، 2004م.
- 10) أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- 11) أنور الزعبي، مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ط1، دمشق، دار الفكر، سنة 2000 م.
- 12) خزل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ط1، المغرب، مركز الثقافي العربي، 2014م.
- 13) زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م.
- 14) سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، ط11، القاهرة، دار السلام، 2015م.
- 15) سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، 1965م.
- 16) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982م.
- 17) صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفة عرضاً ونقداً، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، 1994م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 18) صالح أحمد الشامي، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومحدد المائة الخامسة، ط1، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م.
- 19) عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي، (د.ط)، الصفا للطباعة والترجمة والنشر، (د.ت).
- 20) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة 1999م.
- 21) عبد الرحمان بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية، ط1، الكويت، وكالة المطبوعات، 1975م.
- 22) عبد الرحمان بدوي، مؤلفات الغزالي، ط2، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977 م.
- 23) عبد الرحمان دمشقية، أبو حامد الغزالي و التصوف، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1986 م.
- 24) عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط2، الكويت، مكتبة ابن تيمية، (د.ت).
- 25) عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقْتباس في عصر النابلسي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1987م.
- 26) عبد الكريم العثمان، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، (د.ط)، دمشق، دار الفكر، (د.ت).
- 27) عبد الله أحمد بن عجبية، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، (د.ط)، الدار البيضاء، 1224هـ.
- 28) عبد الوهاب الشعرائي، الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح \_ توفيق على وهبة، ط1، القاهرة، المكتبة الثقافية الدينية، 2005م، ج1.

## قائمة المصادر والمراجع

- 29) عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط1، بيروت، دار الجليل، سنة1993م.
- 30) عز الدين إسماعيل وآخرون، نوابغ العرب أبو حامد الغزالي إمام العقل وحجة الإسلام، (د.ط)، بيروت، دار العودة، 1986م.
- 31) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ج3.
- 32) علي محمد الصّلاّبي، الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2006م.
- 33) علي محمد الصّلاّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، القاهرة، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، سنة 2006 م.
- 34) عمر عبد الكامل، التصوف بين الإفراط والتفريط، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2001م.
- 35) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1972م.
- 36) كامل مصطفى الشبيبي، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ط1، بيروت، دار المناهل للنشر والطباعة والتوزيع، 1997م.
- 37) مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجينيد والغزالي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
- 38) محمد الصادق عرجون، أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، (د.ط)، (د.ت).
- 39) محمد بن جميل زينو، الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، (د.ط)، مكة المكرمة، (د.ت).
- 40) محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، 1994م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 41) محمد جمال إمام، منازل الهدى مختارات من تراث حجة الإسلام الغزالي، (د.ط)، ج 1، 2014م.
- 42) محيي الدين زعرور، اللامعقول وفلسفة الغزالي، (د.ط)، تونس، دار العربية للكتاب، 1983م.
- 43) نور الدين أبو لحية، الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016م.
- 44) يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.

### كتب المعاجم:

- 1) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت، دار الصادر، ج4.
- 2) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسم عيون السود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ج1.
- 3) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ج1.
- 4) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون(د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
- 5) السيد الشريف علي الجرجاني، التعريفات، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
- 6) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، 2008م.

### الكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية:

- 1) رينولد نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلاء العفيفي، (د.ط)، القاهرة، مطبعة اللجنة لتأليف والترجمة والنشر، 1947م.
- 2) زويمر، ترجمة حياة حجة الإسلام الغزالي، ط2، مطبعة النيل المسيحية، 1926م.

### الرسائل الجامعية:

#### • أطروحات الدكتوراه:

1) بوساحة بشير، التجربة الروحية بين القديس أوغسطس والإمام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2017م.

2) عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي" (1288هـ / 1860م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016/2017م.

#### • مذكرات الماجستير:

1) طبال هدير، المحبة في الفكر الصوفي حقيقتها وأبعادها التربوية أبو حامد الغزالي نموذجاً، مذكرة نكاملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، معهد العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2018م.

2) مهدي محمد، مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير ل.م.د، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة د.الطاهر مولاي، سعيدة، 2015/2016م.

#### المقالات والدوريات:

1) إبراهيم الخال، الغزالي، مقال في مجلة الأفلام، ج 10، حزيران 1965.

## قائمة المصادر والمراجع

2) عبد الله إبراهيم صلاح الدين، "الفناء الصوفي عند الإمام الغزالي" مفهومه وآدابه"، دراسات إسلامية مجلة علمية سنوية محكمة، العدد الرابع، 2012م، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية

3) محمد الهادي الطاهري، "التربية على التواصل عند أبي حامد الغزالي"، قسم الدراسات الدينية، 18 أبريل 2017م.

### المؤتمرات والندوات:

1) محمد جواد مغنية، مصادر المعرفة وحقيقة الكشف عند الإمام الغزالي، مقال ضمن أعمال مؤتمر أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده، 1961، دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

فهرس الموضوعات:

إهداء.

شكر وعران.

مقدمة..... أ

المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي..... 7

المطلب الأول: التعريف بأبي حامد الغزالي (اسمه، مولده ونشأته)..... 7

الفرع الأول: اسمه..... 7

الفرع الثاني: مولده ونشأته..... 8

المطلب الثاني: حياته (تعليمه، رحلاته، شيوخه وتلاميذه)..... 11

الفرع الأول: تعليمه ورحلاته..... 11

الفرع الثاني: شيوخه وتلاميذه..... 13

أ \_ شيوخه..... 13

ب \_ تلاميذه..... 15

الفرع الثالث: مراحل التي مرَّ بها الغزالي (من الفقه إلى الفلسفة إلى التصوف)..... 16

المطلب الثالث: آثاره (مؤلفاته ووفاته)..... 20

الفرع الأول: مؤلفاته..... 20

21	الفرع الثاني: وفاته.....
23	المبحث الثاني: ماهية التصوف.....
24	المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي.....
24	الفرع الأول: تعريف التصوف لغةً.....
27	الفرع الثاني: تعريف التصوف اصطلاحاً.....
33	المطلب الثاني: مراحل التصوف وأهم أعلامه.....
33	الفرع الأول: مراحل نشأة التصوف الإسلامي.....
35	الفرع الثاني: بعض أعلام التصوف.....
37	المطلب الثالث: مصادر التصوف.....
37	الفرع الأول: مصادر التصوف.....
37	أولاً: المصادر الإسلامية.....
40	ثانياً: المصادر الأجنبية.....
45	المبحث الثالث: نقد المتصوفة عند الغزالي وتصحيح الممارسة الصوفية.....
45	المطلب الأول: نقد أبي حامد الغزالي للتصوف.....
46	الفرقة الأولى.....
46	الفرقة الثانية.....

47	الفرقة الثالثة.....
47	الفرقة الرابعة.....
48	الفرقة الخامسة.....
48	الفرقة السادسة.....
49	الفرقة السابعة.....
49	الفرقة الثامنة.....
49	الفرقة التاسعة.....
52	المطلب الثاني: تصويبات أبي حامد الغزالي للتصوف.....
52	الفرع الأول: تصويباته في الجانب السلوكي.....
52	أ_ السلوك العام.....
52	ب_ السلوك الخاص.....
53	1_ تصحيحه للعبادات.....
54	الصلاة.....
57	الصوم.....
59	الذكر.....
61	2_ تصحيحه للعبادات.....
61	الحلال والحرام.....

63	السماع والوجد.....
68	3_ تصحیحات الغزالی للمهلكات.....
68	الریاء.....
71	4_ تصحیحه للمنحیات.....
71	الفقر والزهد.....
75	الخوف والرجاء.....
79	الفرع الثانی: تصویباته فی الجانب العرفانی.....
79	1_ العلم.....
81	2_ الكشف.....
86	3_ محبة الله.....
90	4_ الفناء.....
95	خاتمة.....
99	فهرس الآیات القرآنیة.....
104	فهرس الأحادیث النبویة.....
106	فهرس المترجم لهم.....
107	فهرس الآیات الشعریة.....

108 ..... قائمة المصادر والمراجع

118 ..... فهرس الموضوعات

## الملخص:

بمُحْتْنَا فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ مَوْضُوعَ جُهُودِ أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ فِي تَصْحِيحِ المَمارِسةِ الصُّوفِيَّةِ،  
وَقَدْ قَسَمْنَا بِمُحْتْنَا إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ:

فَالْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ تَرْجُمَةُ لِلْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ عَرَّفْنَا فِيهِ بِأَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ وَالْمَرَا حِلَّ الَّتِي مَرَّ بِهَا مِنْ  
الْفَقْهِ إِلَى الْفَلَسْفَةِ إِلَى التَّصَوُّفِ، وَذَكَرْنَا بَعْضَ شَيْوُخِهِ وَبَعْضَ تَلَامِيذِهِ وَأَهَمَّ كُتُبِهِ. أَمَّا الْمَبْحَثُ  
الثَّانِي تَنَاوَلْنَا فِيهِ مَاهِيَةَ التَّصَوُّفِ وَنَشَأَتَهُ التَّصَوُّفِ وَمَرَا حِلَّهُ وَمَصَادِرَهُ وَأَهَمَّ أَعْلَامِهِ.

أَمَّا الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ مَوْضُوعَ دَرَا سْتِنَا فَتَنَاوَلْنَا فِيهِ نَقْدَ أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ لِمَعْظَمِ الْفِرْقِ  
الصُّوفِيَّةِ الَّتِي سَادَتْ فِي عَصْرِهِ وَمَا قَبْلَهُ، وَكَانَتْ الْغَايَةُ مِنْ نَقْدِهِ بِنَاءِ تَصَوُّفٍ صَحِيحٍ لَا لِهَدْمِ  
التَّصَوُّفِ مِنْ جَذْوَرِهِ، ثُمَّ تَنَاوَلْنَا تَصْحِيحَاتِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلتَّصَوُّفِ، وَقَدْ صَحَّحَ الْغَزَالِيُّ  
التَّصَوُّفَ فِي الْجَانِبِ السُّلُوكِيِّ وَفِي الْجَانِبِ الْعُرْفَانِيِّ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ تَصْحِيحَاتِ الْغَزَالِيِّ لِلسُّلُوكَاتِ، الْخَاصَّةِ مِنْهَا وَالْعَامَّةِ، مَعْتَمِدِينَ عَلَى  
تَقْسِيمَاتِهِ فِي كِتَابِهِ الْإِحْيَاءِ وَهِيَ الْعِبَادَاتُ\_الْعَادَاتُ\_الْمُهْلِكَاتُ\_الْمَنْجِيَّاتُ، ثُمَّ انْتَقَلْنَا  
لِتَصْوِيَّاتِهِ فِي الْجَانِبِ الْعُرْفَانِيِّ فَذَكَرْنَا فِيهِ مَفْهُومَ الْحُبِّ وَالْكَشْفِ وَالْفَنَاءِ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ، ثُمَّ  
اسْتَنْبَطْنَا مِنْ هَذِهِ التَّصْوِيَّاتِ التَّصَوُّفِ النَّقِيَّ الَّذِي أَرَادَهُ الْغَزَالِيُّ وَرَأَاهُ صَحِيحًا.

## **Summary.**

In this study we discussed the subject of Abu Hamid Al-Ghazali's efforts in correcting the Sufi practice, and we divided our research into three topics:

The first topic is a translation of Imam Al-Ghazali. As for the second topic, we dealt with what Sufism is, its origin, its stages, its sources, and its most important flags.

As for the third topic, which is the subject of our study, we dealt with the criticism of Abu Hamid al-Ghazali of most of the Sufi sects that prevailed in his time and before, and the purpose of his criticism was to build a correct Sufism not to destroy Sufism from its roots, then we dealt with Al-Ghazali's corrections, may God have mercy on him, for Sufism. Behavioral and in the secular side.

We have mentioned some of Al-Ghazali's corrections of behaviors, both private and general, relying on his divisions in his book *The Revival*, which are the ritual.